من كنوز الحديث النبوي الشريف

إعداد وتحقيق وترتيب
د. محمد عبد الرزاق رعود
أستاذ الحديث المساعد
في كلية الدعوة وأصول الدين



من كنوز
الحديث النبوي الشريف

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ-١٩٩٧م

رقم التصنيف: ٢٣٠

المؤلف ومن هو في حكمه: محمد عبد الرزاق الرعود

عنان المصنف: من كنوز الحديث النبوي الشريف

رؤوس الموضـــوعات: ١- الديانات

٢- الحديث النبوي الشريف

رقم الإيداع: رقم الإيداع: (٢٩٥/ ٣/ ١٩٩٧)

بيانات النشر: عمان – دار مجدلاوي

* - تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية

من كنوز
الحديث النبوي الشريف

اعداد وتحقيق وترتيب

الدكتور محمد عبد الرزاق الرعود

استاذ الحديث المساعد

في كلية الدعوى واصول الدين

عمان – الاردن


الذخيرة العربية

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وبعد .

فإن علم الحديث وشرحه وبيانه، والوقوف على نصوصه، ولانظر فيها ومعرفة اسباب ورودها، ودقائق معانيها، ليعتبر عملاً من اشرف الاعمال لاجل علم واشرفه بعد كتاب الله تعالى .

ونظراً لكون الحديث الشريف يأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب الله مصدراً للتشريع الاسلامي، ومفسراً ومبيناً وموضحاً ومفصلاً لكثير من آيات كتاب الله، كان لزاماً علينا ونحن نمارس عملية التدريس لهذا العلم الشريف، إن نبينه للناس – ولطلبة العلم الشرعي على وجه الخصوص ـ وباسلوب سهل ميسور يتناسب ومستوى الطالب على مقعد العلم الشرعي في سنيه الاولى .

لذا ارتأيت إن أقوم بهذه المهمة بأن اجمع وارتب وانسق واحقق مادة حديثية، تسمى في عرف كليات الشريعة في الجامعات الاردنية وكلية الدعوة واصول الدين بمادة "حديث٢" وتحوي دراسة وشرح وحفظ اثني عشر حديثاً من صحيح البخاري[١] بشرح فتح الباري للحافظ ابن حجر، الا انني جمعت معه

---

(١) تم اختيارها من بين مئات الاحاديث، بعد بحث وعناء شديدين .

شروحاً اخرى لفوائد كثيرة لا تخفى من خلال قراءة هذا الكتاب، بالاضافة الى قراءة ذاتية من صحيح مسلم بشرح النووي، مبينة مع كل وحدة من وحدات هذا الكتاب .

هذا وانني اضافة الى شرح الحديث متناً، تطرقت احياناً للحديث حول قضايا ولطائف تتعلق بالاسناد، من ترجمة لرجاله، وبيان طرقه، وتعدد الروايات وما الى ذلك من امور هي من أهداف هذه المادة .

والله نسأل إن يتقبل منا عملنا هذا، وان يجعله في صحيفة حسناتنا انه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. محمد الرعود

كلية الدعوة واصول الدين / عمان

١١/ شوال/١٤١٧هـ

١٨/٢/١٩٩٧

الوحـــدة الأولى

دراسة ثلاثة احاديث من كتاب بدء الوحي من صحيح البخاري / شرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني وهي :

١- حديث عائشة والحارث بن هشام في كيفية الوحي .

٢- حديث عائشة المشهور في بدء الوحي .

٣- حديث ابن عباس: كان رسول الله اجود الناس .

المطلوب من صحيح مسلم بشرح النووي قراءة ذاتية :

كتاب الفضائل ويأتي في الجزء الخامس عشر، من ص ٣٦- ١٤٧، طبعة دار احياء التراث العربي .


الذخيرة العربية

الحديث الأول

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال : اخبرنا مالك عن هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها إن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ: احياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو من اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، واحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعي ما يقول)) قالت عائشة رضي الله عنها : لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم، وان جبينه ليتفقد عرقاً .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ﷺ (فتح الباري ١/ ٢٥ حديث رقم ٢). ومسلم في كتاب الفضائل باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به (مسلم بشرح النووي ١٥/ ٨٨).

ترجمة رجال السند :

١- عبد الله بن يوسف : ابو محمد الكلاعي شيح البخاري، وهو التنسيي، نزل تنيس من أعمال مصر، واصله دمشقي، وهو من اتقن الناس في الموطأ كما قال ابن معين، توفي سنة ٢١٨هـ .

٢- مالك : هو ابن انس الاصبحي ابو عبد الله المدني، احد الائمة الاربعة المشاهير، وكان يسمى (نجم العلماء) ولد سنة ٩٣هـ، وتوفي سنة ١٧٩هـ.

٣- هشام بن عروة : بن الزبير بن العوام الاسدي، ثقة فقيه، ولد سنة ٨٧هـ وتوفي سنة ١٤هـ .

٤- عروة بن الزبير : بن العوام الاسدي، ابو عبد الله، وامه اسماء بنت ابي بكر ثقة فقيه، ولد في أوائل خلافة عثمان، ومات سنة٩٤هـ .

٥- عائشة : بنت أبي بكر، زوج رسول الله ﷺ(ام المؤمنين) تزوجها النبي ﷺبعد الهجرة وهي بنت تسع سنين بكراً، خلافاً لسائر ازواجه، وهي من اكثر الصحابة رواية، توفيت سنة ٥٧هـ ودفنت في البقيع، و(أم المؤمنين) أي في الاحترام وتحريم نكاحهن ،وقيل للواحدة ام المؤمنين للتغليب، والا فلا مانع من إن يقال لها ام المؤمنات على الراجح .

٦- الحارث بن هشام : هو المخزومي، اخو عمرو بن هشام (ابو جهل) اسلم يوم الفتح، واستشهد في فتوح الشام .

شرح الحديث :

قوله : (سأل) قال الحافظ[(١)] : هكذا رواه اكثر الرواة عن هشام بن عروة، فيحتمل إن تكون عائشة حضرت ذلك، وعلى هذا اعتمد اصحاب الاطراف فأخرجوه في مسند عائشة، ويحتمل إن يكون الحارث اخبرها بذلك بعد فيكون من مرسل الصحابة، وهو محكوم بوصله عند الجمهور، والمشهور الاول .

قوله : (كيف يأتيك الوحي؟)

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٦ .

الوحي لغـة : الاشارة والكتابة والرسالة والالهام، والكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك، يقال : وحيث الكلام واوحيت[1] او هو الاعلام في خفاء)

وشـرعاً : الاعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويـراد بـه اسـم المفعـول منـه أي (الموحى) وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ[2].

ويعني : اذا اطلق الوحي في لسان اهل الـشرع انـصرف الى ذلـك التعلـيم السري الصادر من الله تعالى، الـوارد الى الانبيـاء علـيهم الـسلام، وقـد يطلـق الوحي مجازاً على حامله، وهو جبريل عليه السلام :

والوحي نوعان :

١- بوساطة ملك : وهاذ يقع على وجهين :

أ- تارة يشاهد الملك عند الوحي اما على صورته الحقيقية، وهذا نادر واما متمثلاً في صورة بشر فيكلمه .

ب-وتارة لا يرى الملك عند الوحي بل يسمع عند قدومـه دويـاً وصلـصة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٢- بلا وساطة ملك : وله طريقتان :

أ- بالالهام، وهو القاء المعنى في النفس .

ب-بالكلام من وراء حجاب، أي بدون رؤية، كتكليم موسى عليه السلام.

---

(١) لسان العرب ١٥/ ٣٧٩، مادة وحي، والقاموس المحيط ٢/ ٤٠١ .

(٢) فتح الباري ١/ ١٤ - ١٥

والوحي الشرعي بكل انواعه يصاحبه علم من الموحى اليه بـأن مـا القـي اليه حق معصوم من عند الله، لـيس مـن خطـرات الاوهـام، ولا مـن نزغـات الشيطان، وهذا العمل يقيني ضروري لا يخالجه شك، ولا يولد من مقدمات بل هو من قبيل ادراك الامور الوجدانية، كالجوع والشبع والحب والبغض .

فإذا عرفت هذا لم يشكل عليه الفرق بينه وبين ما يشبه بعـض انواعـه مـن الالهام والرؤيا الصادقة اللذين يقعان لغير الانبياء، كما ورد (إن الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة)[1] .

وبيان ذلك : إن فترة النبوة ثلاثاً وعـشرين سـنة، وهـذا يعـني اننـا اذا مـا قسمنا السنة نصفين، وجعلنا كل نصف جزءاً معينـاً فيـصبح العـدد بهـذا سـتة واربعين جزءاً، وقد علمنا إن اول سـتة اشـهر (أي جـزء واحـد) مـن النبـوة كانت رؤيا صالحة وصـادقة، فهـذا معنـى إن الرؤيـا الـصادقة جـزء مـن سـتة واربعين جزءاً من النبوة، وهي بهذا باعتبار صدقها لا غير، والا لساغ لصاحبها إن يسمى نبياً وليس كذلك .

ثم إن ما يقع للصالحين من الالهامات، ليس من العلوم اليقينية، في شـيء، وإنما هي سوانح مظنونة ق تلتبس فيها لمة الملك بلمة الشيطان، فيحتـاج قـرائن الملهم الى قرائن خاردية يعرف بها من أي النوعين هي، وكذلك الرؤيا الصادقة

---

(١) حديث صحيح، رواه جمع من الصحابة، فأخرجه البخاري، من حديث ابي سعيد الخدري، ومسلم من حديث بن عمرو وابي سعيد الخدري، ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو وابي هريرة، واحمد وابن ما جة من حديث رزين، ، والطبراني من حديث ابن مسعود، وقد ورد عند احمد وبان ماجة من حديث ابن عمر وابن عباس باسناد صحيح بلفظ : الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة) .

التي تتفق لكثير من البشر حتى الفساق والكفار منهم ليست لها هـذه الخاصـية، وانما يقع ظن بصدقها لمن جرت عادته بذلك .

وتسمية ما يقع من الالهام الصادق لغـير الانبيـاء وحيـاً فانمـا هـي تـسمية لغوية بالمعنى الاعم، لان اللغة تسمي كل اعـلام خفـي وحيـاً ـ كمـا عرفـت ـ سواء اكان صادراً عن الله ام لا، وسواء أكان لنبي ام لا، وقد ورد القرآن بهـذه الاطلاقات اللغوية :

١ – فقال تعالى في شأن زكريا: ﴿**فأوحى اليهم إن سبحوا بكرة وعشياً**﴾[1] أي اشار واومأ الى قومه.

٢– وقال تعالى :﴿**واوحينا الى ام موسى**﴾[2]. أي الهمناها.

٣– وقال تعالى:﴿**واوحى ربك الى النحـل**﴾[3] أي هداها الى طريق غـذائها ومسكنها كهداية الطفل الى الثدي [4] .

ولا بد من في هذا المقام من بيان الفرق بين الالهام والفراسة :

فالفراسة : علم كسبي استنتاجي من امارات سابقة .

---

(١) سورة مريم، اية ١١ .

(٢) سورة القصص، اية ٧ .

(٣) سورة النحل، اية ٦٨ .

(٤) أعلم إن الطفل في رحم امه ولمدة أشهر يكون قد وضع نهاية ابهامه في فمه واخذ يتدرب على المص، لذلك بمجرد نزوله من رحك امه سرعان ما يلتقف ثديها ويبدأ بالرضاع، وهذا من هداية الله تعالى .

والالهام : علم وهي يلقى في النفس دفعة بدون مقدمات[1].

ولنعد إلى شرح فقرات الحديث:

فقوله : (كيف يأتيك الوحي ؟)

* يحتفل إن يكون المسؤول عنه صفة الوحي نفسه.

* ويحتمل إن يكون صفة حامله، أو ما هو أعم من ذلك .

وعلى كل تقدير فاسناد الاتيان الى الوحي مجاز، لان الاتيان حقيقة من وصف حامله[2].

أي إن الوحي ـ وهو الكلام الموحى به ـ لا يأتي وحده، بل يأتي به حامله وهو الملك، وجواب الرسول ﷺيشتمل على ـ ذكر الامرين ـ الوحي وحامله .

قوله : (أحياناً) جمع حين، أي ازماناً، ويطلق على كثير الوقت وقليله، والمراد به هنا مجرد الوقت، أي : (اوقاتاً يأتيني)[2] .

قوله : (يأتيني مثل صلصلة الجرس)

الصلصلة : في الاصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم اطلق على كل صوت له طنين .

وقال الخطابي : هي صوت متدارك يسمعه ولا يتبينه اول ما يقرع سمعه حتى

---

(١) المختار من كنوز السنة / د. دراز، ص ١-٤ .

(٢) الفتح ١/٢٦/٢٧ .

يفهمه من بعد ذلك [1] .

وقيل :(هي صوت حفيق اجنحة الملك)

والجرس : مشتق من الجرس باسكان الراء، وهو الحس، وهو معروف منه ما يعلق في رؤوس الدواب، ومنه ما يستعمل في البيوت والدوائر والمؤسسات ووسائل النقل وغيرها للتنبيه ولفت الانتباه .

وقد صح عند مسلم وغيره النهي عن مرافقة ما هو معلق فيه والاعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة، فهذا يفيد بأن الجرس مذموم في الشرع[2] .

فكيف اذا يشبه الرسول عليه السلام الوحي ـ وهو محمود ـ بالجرس ـ وهو مذموم ـ؟! مع العلم إن الملائكة تنفر منه .

الجواب : من وجوه :

١- لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في اخص وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، فالمقصود هنا بيان الجنس، فذكر ما ألف السامعون سماعة تقريباً لافهامهم، والتشبيه وقع في جانب قوة الصوت، ولا في جانب الطرب[3] .

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٥/ ٨٨ .

(٢) يستعمل الجرس اليوم في كثير من الجوانب الحياتية، وغالباً ما يكون كهربائيا لحاجات وغايات تخدم الانسان في اعماله واحتياجاته، فهذا والله اعلم لا يدخل تحت النهي المراد في الحديث الشريف .

(٣) فتح الباري / ٢٨ بتصرف يسير .

ومثل هذا ما حصل مع احد الشعراء حينما مدح احد الخلفاء قائلاً :

انت كالكلب في وفائه   وكالتيس في مقارعة الخطوب

فلم يقصد تشبيهه بالكلب ولا بالتيس لصفة الذم، وانما اراد إن يمدح الخليفة بذكر صفتين : الوفاء، والشجاعة، وهما موجودتان في الكلب والتيس .

٢- يحتمل إن يكون النهي عنه وقع بعد السؤال المذكور .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه نظر .

وذلك لانه يحتاج الى بيان زمنه، وهذا غير قائم لذا كان فيه نظر .

٣- لان الجرس لا تحصل صلصلته الا متداركة وقع التشبيه به دون غيره من الالات .

*** ما الحكمة من تقدم هذا الصوت ـ أي الصلصلة ـ ؟!**

قال النووي : قال العلماء : والحكمة من ذلك إن يتفرغ سمعه ﷺ ولا يبقى فيه ولا في قلبه مكان لغير صوت الملك[1].

قوله : (وهو اشده عليّ)

أي هذه الصفة اشد من غيرها من صفات اتيان الوحي لان كلها شديدة .

لكن ما الحكمة من ذلك ؟

١- قال البلقيني : سبب ذلك إن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٥/٨٨، الفتح ١/٢٨ .

للاهتمام به، كما في حديث ابن عباس (كان يعالج من التنزيل شدة)[1].

٢- قال : وقال بعضهم : انما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه فيكون اوعى لما سمع .

٣- وقيل : كان ينزل هكذا اذا نزلت اية وعيد اوتهديد، وقال الحافظ : وهذا فيه نظر لان هذه الحالة لا تختص بنزول القرآن.

٤- فائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى والدرجات[2].

قوله : (فيفصم عني) بفتح الياء وكسر الصاد، وقيل بضم الياء، وفتح الصاد، على البناء للمجهول .

واصل الفصم : الكسر من غير بينونة، فصمه يفصمه فصماً فانفصم : أي كسره من غير إن يبين، والانفصام : الانقطاع، وفي التنزيل : ﴿لا انفصام لها﴾[3] أي لا انقطاع لها .

ما الفرق بين الفصم ـ بالفاء ـ والقصم ـ القاف ـ ؟

فال ابو عبيد : الفصم، بالفاء، أن ينصدع الشيء من غير إن يبين والقصم، بالقاف : إن ينكسر الشيء فيبين [4] .

لذلك ذكر الرسول عليه السلام الفصم بالفاء، اشارة الى إن الملك فارقه

---

(١) اخرجه البخاري في بدء الوحي، حيث رقم ٥ .

(٢) فتح الباري ١/ ٢٨

(٣) سوقر البقرة، اية ٢٥٦ .

(٤) لسان العرب، مادة فصم ١٢/ ٤٥٣-٤٥٤ .

ليعود، لا ليبين منه فلا يعود .

قوله : (وقد وعيت عنه ما قال) .

أي أدركت وحفظت وفهمت القول الذي جاء به الملك .

قوله : (واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً) .

أي يتصور، والملك هو جبريل، واللام فيه للعهد .

وفيه دليل على إن الملك يتشكل بشكل البشر، كما في مجبته في صورة دحية الكلبي، وقد رأته عائشة رضي الله عنها ولم تعرف انه ملك حتى اخبرها النبي ﷺ، ومجيئه في صورة اعرابي في حديث عمر المشهور : (بينما نحن جلوس عند رسول الله اذ طلع علينا رجل...) وكلها في الصحيح .

ما هي الملائكلة ؟

الملك : واحد الملائحة، انما هو تخفيف الملاك، واجتمعوا على حذف همزة للتخفيف، فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائحة وملائك قال الكسائي : اصله مالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: ملأك [1] .

قال الحافظ ابن حجر : قال المتكلمون : الملائكة اجسام علوية لطيفة تتشكل على أي شكل ارادوا[2] .

(١) لسان العرب، مادة ملك ١٠/ ٤٩٦ .

(٢) فتح الباري ١/ ٢٩ .

وهم خلق عظيم، وعددهم كثير لا يأتي عليه العد، ولا يحصيه من دون الله احد، خلقهم الله من النور، وطبعهم على الخير، فهم لا يعرفون الشر، ولا يأمرون به، ولا يأتونه، ولا يفعلونه)[1].

هل تمثل جبريل يعني إن الله ازال عنه الزائدة او افناه، او ماذا ؟

قال البلقيني : الآتي هو جبريل بشكله الاصلي الا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل، واذا ترك ذلك عاد الى هيئته، ومثال ذلك القطن اذا جمع او نفش لم تتغير ذاته[2] .

أقول : هذا الامر متعلق بمشيئة الله وارادته وعلمه الغيبي الذي لم يطلع عليه احداً، يفعل سبحانه ما يشاء وكيفما يشاء (انما امره اذا أراد شيئًا إن يقول كل كن فيكون)[3] .

وقال الحافظ : والحق إن تمثل الملك رجلاً ليس معناه إن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لم يخاطبه، والظاهر ايضاً إن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط، والله اعلم .

قوله : (فيكلمني) :

هكذا رواه الاكثرون، ووقع عند البيهقي من طريق مالك : (فيعلمني) وهو تصحيف، لان الذي في موطأ مالك بالكاف، وعنه رواه ايضاً الدار قطني

---

(١) عقيدة المؤمن، ص ١٤٨ .

(٢) فتح الباري ١/ ٢٩ .

(٣) سورة يس، اية ٨٢ .

بالكاف، وكلها من طريق القعني عنه .

قوله : (فاعي ما يقول) :

قال الحافظ : زاد ابو عوانه في صحيحه : (وهو اهونه عليّ) .

ما حكم الزيادة في الحديث ؟

اذا كانت من ضعيف ترد بالاجماع، لانها زيادة منكرة .

واذا كانت من ثقة، فها حالات ثلاث :

١- زيادة ثقة غير مخالفة، مقبوله .

٢- زيادة ثقة مخالفة، مردودة لانها زيادة شاذة .

٣- زيادة ثقة مخالفة جزئياً، كحديث : (جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً) روي من وجه اخر بزيادة (وتربتها طهوراً) وهي زيادة ثقة .

هنا قال الشافعة : زيادة الثقة مقبولة واعتبروا كلمة (وتربتها) من اصل الحديث.

بينما الاحناف : ردوا الزيادة .

في بداية الحديث، قال عليه السلام : (وقد وعيت عنه ما قال، وهنا قال : فأعي) أي إن اللفظ الاول بصيغة الماضي، واللفظ الثاني بصيغة الحاضر، **فلم هذا التغاير ؟!**

أجاب الحافظ ابن حجر بجوابين :

١- لان الوعي حصل في الاول قبل الفصم، وفي الثاني حال المكالمة .

٢- كان في الاول قد تلبس بالصفات الملكية فإذا عاد الى حالته الجبلية كان حافظاً لما قبل فعبر عنه بالماضي، بخلاف الثاني فإنه على حالته المعهودة[١].

لماذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم حالات الوحي الاخرى، وهي كثيرة، سواء المتعلقة بالوحي نفسه، كمجيئة كدوي النحل، والنفث في الروح والالهام، والرؤيا الصالحة، والتكليم ليلة الاسراء بلا واسطة .

او المتعلقة بصفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلق عليها له ستمائه جناح، ورؤيته على كرسي بين السماء والارض وقد سد الافق) .

والجواب على هذه التساؤلات، نفصلها فيما يلي :

فيما يتعلق بصفة الوحي :

١-كدوي النحل : لا يعارض صلصلة الجرس، لان سماع الدوي بالنسبة الى الحاضرين كما في حديث عمر عن الترمذي (يسمع عنده كدوي النحل) والصلصلة بالنسبة الى النبي ﷺ، فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة الى السامعين، أشبه ذلك تماماً بالتلفون، فان السامع له ليس كمن يجلس بجانبه، حتى لو سمع شيئاً لا يستطيع تمييزه، فليسا سواء .

٢- النفث في الروع : فيحتمل إن الملك اذا اتاه في مثل صلصلة الجرس نفث حينئذ في روعه.

٣- الالهام : لم يقع السؤال عنه، لان السؤال وقع عن صفة الوحي الذي يأتي بحامل .

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٩ .

٤- التكليم ليلة الاسراء: ايضاً لم يتطرق لها السؤال .

٥- الرؤيا الصالحة : لا جواب عليها، لان مقصود السائل بيان ما يختصبه النبي ﷺ، ويخفى فلا يعرف الا من جهته، أما الرؤيا فمشتركة معروفة .

هذا فيما يتعلق بصفة الوحي، اما فيما يتعلق بصفة حامله فالجواب عليه :

١- إن ما ذكره النبي ﷺمن حالتي الوحي ليس للحصر انما للغالب .

٢- إن ما يغايرهما من الصفات على انه وقع بعد السؤال .

٣- إن النبي ﷺلم يتعرض لذكر صفتي الملك المذكورتين (وهما مجيئه على صورته الحقيقية، ورؤيته على كرسي بين السماء والارض) لندورهما، وقد ثبت من حديث عائشة انه لم يره كذلك الا مرتين او لم يأته في تلك الحالة بوحي، او اتاه به فكان على مثل صلصلة الجرس[١]، والله اعلم .

قوله : (قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ...)

هكذا، كأنه معلق، والصحيح انه موصول بالاسناد نفسه، لان البخاري حيث يريد التعليق يأتي بحرف العطف .

وقد اخرجه مسلم[٢] موصولاً من حديث ابي اسامة عن هشام عن ابيه عن عائشة قالت : (إن كان لينزل على رسول الله ﷺ في الغداة الباردة ثم تفيض جبهته عرقاً) .

---

(١) انظر فتح الباري ١/ ٢٧، ومسلم بشرح النووي ١٥/ ٨٩، والمخترا، ص ٥٣ .

(٢) اخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب طيب عرقه صلى الله عليه وسمل بشرح النووي ١٥/ ٨٨ .

ولكن يبقى السؤال، لماذا ذكره البخاري هكذا مقتطعاً ؟!

الجواب : سبب ذلك اختلاف التحمل، لانها في الاول اخبرت عن مسألة الحارث، وفي الثاني اخبرت عما شاهدت تأييداً للخبر الاول .

قوله : (وفي اليوم الشديد البرد)

وفي ذلك دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي، لما فيه من مخالفة العادة، وهو كثرة العرق في شدة البرد، فإنه يشعر بوجود امر طارئ زائد على الطباع البشرية[1].

قوله : (ليتفصد عرقاً)

الفصد، بالفاء: هو قطع العرق لاسالة الدم، فشبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق .

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٩ – ٣٠ .

الحديث الثاني

قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير، قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة ام المؤمنين انها قالت : او ما بدئ به رسول الله ﷺ، من الوجي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلف الصبح، ثم حبب اليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل إن ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ، قال : ما انا بقارئ، قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال : اقرأ، فقلت : ما أنا بقارئ، فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال : اقرأ، فقلت: ما انا بقارئ، ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم ارسلني فقال : ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم**﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بن خويلد رضي الله عنها فقال : زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة واخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا، انك لتصل الرحم، وتحمل اكل وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله إن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة : ياابن عم اسمع من ابن اخيك، فقال له ورقة " يا ابن اخي ماذا ترى؟ فأخبره

رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة : هـذا النـاموس الـذي نـزل الله علـى موسى، ياليتني فيها جذعاً، ليتني اكون حيا اذ يخرجـك قومـك، فقـال رسـول الله ﷺ او مخرجي هم ؟ قال نعـم، لم يـأت رجـل قـط بمثـل مـا جئـت بـه الا عودى، وان يدركني يومك انصرك نصراص مؤزراً ثم لم ينشب ورقة إن تـوفي وفتر الوحي .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب بدء الـوحي بـاب كيـف كـان بـدء الـوحي الى رسول الله ﷺ (فتح ١/ ٣٠حديث رقم ٣)، ومسلم في كتاب الايمان بـاب بـدء الوحي الى رسول الله ﷺ (مسلم بشرح النـووي ٢/ ١٩٧)، واحمـد في مـسنده ٦/ ١٥٣و٢٣٢، والترمذي في المناقب باب رقم ٣٢ حـديث رقـم ٣٧١١ تحفـة الاحوذي، مختصراً .

ترجمة رجال الاسناد :

١- يحيى بن بكير : هو ابن عبد الله بن بكير المصري، وقد ينسب الى جده من كبار حفاظ المصريين، ثقة في الليث، وتكلموا في سماعة من مالك ولد سنة ١٥٤هـ ومات سنة ٢٣١هـ .

٢- الليث : بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، ابو الحارث المصري، ثقة ثبت، فقيه، مات سنة ١٧٥هـ .

٣- عقيل : بالضم على التصغير، هو ابن خالد بن عقيل الايلي، ابو خالد وهو من أثبت الرواة إن ابن شهاب، ثقة، ثبت، مات سنة ١٤٤هـ .

٤- إن شهاب : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد

الله ابن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، ابو بكر، الفقيه الحافظ متفق على اتقانه، مات سنة ١٢٥هـ روى له الستة .

٥- عروة بن الزبير وعائشة رضي الله عنهما، سبقت ترجمتها في الحديث الاول .

شرح الحديث

قوله : (اول ما بديء به رسول الله ﷺ)

أي اول ما بدأ الله به رسوله ﷺ، فبدأ، تعدت لاثنين هنا، وتقدير الكلام : بدأ الله رسوله الرؤيا .

قال النووي : (هذا الحديث من مراسيل الصحابة رضي الله عنهم، فإن عائشة رضي الله عنها لم تدرك هذه القضية، فتكون قد سمعتها من النبي ﷺ او من الصحابي، ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ ابو اسحاق الاسفراييني)[١] .

قوله : (من الوحي) أي من اقسام الوحي، فتكون من تبعيضية ويحتمل إن تكونه (من) بيانيه[٢]، بمعنى إن الرؤيا الصادقة وحي لا مقدمة وحي ولا من جزء الوحي، وفائدة هذا البيان الاحتراز عن الارهاصات والدلائل الاخرى

---

(١) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٩٧ .

(٢) قال الحافظ في التح ١/ ٣١ : ورجحه القزاز : (وهو محمد بن جعفر القيرواني ابو عبد الله التميمي صاحب الجامع في اللغة، توفي سنة ٤١٢هـ، وذكر ذلك النووي ٢/ ١٩٧ وقال : ذكرهما القاضي .

المهمدة للنبوة كتسليم الحر عليه، وتبشير بحيراً الراهب لـه، ونحـو ذلـك فعبـارة الحديث مصرحة بانها أول مبدوء به من الوحي، فهي نص في إن الرؤيـا كانـت هي الاولى باطلاق .

وحكمة ذلك ايناسه ﷺ بالامر حتى يكون تلقي شدائد الـوحي في اليقظـة اخف وقعاً على نفسه البشرية)[1].

قوله : (الرؤيا الصالحة)

الرؤيا : بالالف تطلق على مـا يـراه النـائم، كمـا في قولـه تعـالى : ﴿**لقـد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾[2] . والرؤيا بالتاء فهي بالبصر .

وقد تستعمل الرؤيا بالالف في رؤيـة العـين احيانـاً كمـا في قولـه تعـالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس** ﴾[3]

وفي هذه الاية دليل على إن الاسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً، اذ لو كان بالروح كما يزعم بعضهم، كما كانت هذه الحادثـة معجـزة، لان النـائم يرى اعجب من هذا واكثر، لذا كانت الرؤيا بـالالف في هـذه الايـة هـي رؤيـا عين، ولا مانع في لغة العرب من استعمالها على الوجهين معاً .

وقوله : (الصالحة) وفي رواية، مسلم ورواية اخرى للبخاري (الـصادقة) وهما بمعنى واحد، أو إن الصالحة تعني الحسنة المبشرة بالخير والنبوة .

---

(١) المختار، ص ٨ .

(٢) سورة الفتح، أية ٢٧ .

(٣) سورة الاسراء، أية ٦٠ .

والصادقة : التي ليس فيها ضغث، أي كلها حق لم يختلط فيها باطل .

قوله : (في النوم) هذا القيد لزيادة البيان والايضاح، او لدفع احتمال إن تكون رؤيا يقظة لجواز اطلاقها مجازاً كما تقدم قبل قليل .

قوله : (جاءت مثل فلق الصبح)

جاءت : أي وقع مضمومها وحصل .

وفلق الصبح : ضياؤه، او هو الصبح نفسه، والصبح هو الفجر، او اول النهار، وقال النووي : قال اهل اللغة : فلق الصبح، وفرق الصبح، بفتح الفاء والام والراء هو ضياؤه، وانما يقال هذا في الشيء الواضح البيّن)، وخص بالتشبيه لظهوره الواضح الذي لا شك فيه، ولا يخفى حسن هذا التشبيه، فإن الرؤيا الصالحة لم كانت مقدمة لسطوع شمس النبوة كانت بمثابة طلوع الفجر للشمس الحقيقية [1] .

وفي رواية الترمذي زيادة لم يذكرها الشيخان، (اول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين اراد الله كرامته ورحمة العباد به إن لايرى شيئاً الا جاءت كفلق الصبح)، وهي رواية ابن هشام في السيرة ١/ ٢٥١ .

قوله : (ثم حبب اليه الخلاء) :

هكذا بصيغة المبني للمجهول، فلم يسمّ فاعله وذلك :

١- لعدم تحقق الباعث على ذلك، وان كان الكل من عند الله .

---

(١) انظر الفتح ١/ ٣١، ومسلم بشرح النووي ٢/ ١٩٧، والمختار، ص ١٠ وتحفة الاحوذي ١٠/ ١٠٩ .

٢- او لينبه على انه لم يكن من باعث البشر الصادر هن هوى نفساني او داع طبيعي .

٣- او يكون ذلك من وحي الالهام .

فيصبح المعنى : أي بعث الله في قلبه داعية الخلوة وحبب اليه العزلـة عـن الخلق والانس بالخالق .

والخلاء : بالمد الخلوة، وفضيلته إن الخلوة فراغ القلـب لما يوجـه لـه، وفي ذلك تنبيه على فضل العزلة احياناً لم يحـرص علـى دينـه اذا رأى فتنـاً واهـواءاً مغايرة للدين إن ينفرد بنفسه فرارًا بدينه .

ومن المناسب هنا إن اشير الى مفهوم خاطئ للخلـوة عنـد بعـض النـاس، فقال الدكتور البوطي[١] بيد انه لا ينبغي إن يفهم معنى الخلوة كما شذ البعض ففهموها حسب شذوذهم، وهو الانصاف الكلي عن النـاس واتخـاذ الكهـوف موطناً واعتبار ذلك فضيلة بحد ذاتها، فذلك مخالف لهديه ﷺ ولما كان عليه عامة اصحابه).

وقال : إن لهذه الخلوة الـتي حببـت الى قلـب رسـول الله ﷺ قبيـل البعثـة، دلالة عظيمة جداً، لها اهميـة كـبرى في حيـاة المسلمين عامـة والـداعين الى الله بصورة خاصة، فهي توضـح إن المسلم لا يكمـل اسلامه مهمـا كـان متحليـاً بالفضائل، قائما بالوان العبـادات، حتـى يجمـع الى ذلـك سـاعات مـن العزلـة والخلـوة يحاسـب فيهـا نفسه، ويراقـب الله تعـالى، ويفكـر في مظـاهر الكـون ودلائل ذلك على عظمة الله عـز وجـل، هـذا في حـق أي مـسلم يريـد لنفسه

(١) فقه السيرة، ص ٨١ .

الاسلام الصحيح، فكيف بمن يريد إن يضع نفسه موضع الداعي الى الله والمرشد الى الطريق الحق .

هذا وليس مجيء الوحي بعد الخلوة دليلاً على إن النبوة تكتسب بالرياضة والمجاهدة، فانه لو كانت عبادة ايام معدودات سبباً عادياً في ادراك ذلك المقام الاسنى لكان امية بن ابي الصلت احق بها لطول تبتله في الجاهلية، ولطالما استشرف الى هذا المنصب فرجع عنه خاسئاً، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، والله اعلم حيث يجعل رسالته) [1].

قوله : (وكان يخلو بغار حراء)

الباء بمعنى في، والغار هو الكهف وهو نقب في الجبل وجمعه غيران وحراء: بالمد وكسر اوله، وروي بالفتح والقصر أي (حرى) والاول هو الصحيح .

وحراء جبل معروف في الشمال الشرقي من مكة ويسمى (جبل النور) وغار حراء : من اضافة الجزء الى الكل، أي الغار الذي في الجبل المسمى بحراء .

وفرق بين هذا الغار، والغار الذي اوى اليه الرسول ﷺ وصاحبه في الهجرة، فهو غار ثور وهو واقع في جنوب مكة .

قوله : (فيتحنث فيه)

وفي رواية ابن هشام في السيرة [2] (يتحنف) بالفاء وهما بمعنى واحد،

---

(١) المختار، ص ١٢، وللاستزادة حول موضوع الوحي، وما قاله محترفو الغزو الفكري انه كشف تدريجي، انظر فقه السيرة للبوطي، ص ٨٤-٨٩ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٢ .

والتحنف : من الحنفية وهي دين ابـراهيم، والتحنـث : تـرك الحنـث، ونظـيره التحرج والتأثم والتهجد .

وقد فسر الزهري[1] راوي الحديث (التحنث) بالتعبد لان من خرج مـن الاثم فقد دخل في الطاعة .

ما نوع العبادة التي كانت في الغار قبل النبوة ؟!

* هل كانت بالتفكير في خلق السماوات والارض ؟!

* او كانت بالتسبيح والتمجيد للخالق ؟!

* او بصلوات وغيرها مما حفظته الاجيال من آثار ملة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ؟!

* او بمجموع ذلك كله ؟!

كل ذلك ممكن وسائغ ولـيس لـدينا بـين علـى تعـيين الواقـع مـن ذلـك، والبحث عنه ليس له ثمرة عملية[2] .

قوله : (الليالي ذوات العدد) وفي رواية مسلم : (اولات العدد)

الليالي : جمع ليلة، وهي ظرف ليتحنث .

وذوات العـدد : متوسـطة بـين القلـة والكثـرة، ولا زال هـذا التوسـط والاقتصاد في الاعمال شعاراً للملة الاسلامية ورمزاً للهدي النبوي الكريم .

---

(١) يسمى هذا ادراج في الحديث، أي ليس من اصل الحديث .

(٢) المختار ص ١٤ .

قال تعالى : ﴿**وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[١].

وعدد هذه الليالي مبهم وذلك لاختلافه وهو بالنسبة الى المدد التي يتخللها مجيؤه الى أهله، والا فأصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر، وهو رمضان كما عند ابن اسحاق في السيرة[٢].

لماذا خصت الليالي مع إن اوقات الخلوة لا تخلو من عمل صالح في ليل او نهار ؟! .

وذلك لان السكون يكون في الليل اكثر، والقلب فارغاً نوعا ما من شواغل الحياة والدنيا، فتوجهه الى ربه في هذه اللحظات افضل واحسن والروح في الليل متيقظة اكثر، ولذلك فالليل هو مقصود المتهجدين وقائمي الليل يقول تعالى : ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾[٣].

* ثم إن اطلاق الليالي قد يشمل الايام عند العرب، وكذا العكس .

قوله : { قبل إن ينزع الى اهله }

ينزع : بكسر الزاي، معناه يشتاق ويحن، وفسره بعضهم بيرجع ورواه البخاري مرة بهذا للفظ، وكذا هوي رواية مسلم .

والصحيح إن ينزع اذا تعدت بالى، فيكون المعنى : يشتاق واذا تعددت

---

(١) سورة البقرة اية ١٤٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٣ .

(٣) سورة الذاريات اية ١٧ .

بعن يكون المعنى : يرجع ويعود، فاذا قلت نزعت عن الامر، أي رجعت عنه، ونزعت اليه أي اشتقت اليه .

أقول : وكذلك فان شرعنا الحنيف قد حض على اعطاء كل ذي حق حقه فلله حق، وللنفس حق، وللاهل حق، وللناس حق، فالاصل في المسلم إن يراعي هذه الحقوق كلها، ليحقق معنى الوسطية والاعتدال التي هي سمة الاسلام بعامة .

قوله : ﴿**ويتزود لذلك**﴾ رويت بالرفع عند الاكثرين، فتكون معطوفة على قوله (يخلوا) ورويت بالنصب، فتكون معطوفة على قوله (ينزع) .

والمعنى : وكان ﷺ يتخذ لنفسه في هذه الخلوة زاداً يعينه على الاعتكاف ويكفيه مؤونة السعي في طلب الرزق اثناء تلك المدة .

وفي هذا توجيه الى معنى اتخاذ الاسباب وانه لا ينافي التوكل، بل حقيقة التوكل هي مع اتخاذ الاسباب والاعتماد على الله في انجاحها، وسيرة رسول الله ﷺ شاهدة على ذلك في كل مراحلها، ومن اوضح الامثلة على ذلك الهجرة وما فيها من دروس وعبر وعظات .

قوله : (ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها)

يتزود : أي يستصحب الزاد معه، لمثلها : أي الليالي، وهي فترة الخلوة والمراد من هذه الجملة، بيان تكرر الخلوة مرة بعد اخرى، مع التزود لكل مرة وفيها تصريح باسم الاهل التي ابهم اسمها اولاً وهي خديجة رضي الله عنها، وهي اول زوجة للرسول عليه السلام تزوجها ولها من العمر اربعون سنة وله خمس وعشرون سنة، وكانت تتمتع بصفات جليلة حميدة، صدقت رسول الله

صلى الله وواسته بمالها فما زال ﷺ يذكرها باستمرار حتى بعد وفاتها، ولم يتزوج رسول الله ﷺ، معها في حياتها وفاءً لها، وانما تزوج بعد وفاتها وكان عمره ﷺ ينوف الخمسين[1] ، فهل من هذا وصفه وواقعة يكون اسيراً للشهوة الجنسية كما نفث اولئك الحاقدون سمهم على رسول الله ﷺ يريدون بذلك شين سيرة هذا الرسول النقي التقي : فلا حول ولا قولة الا بالله .

قوله : (حتى جاءه الحق وهو في غار حراء)

وفي رواية اخرى للبخاري ومسلم (حتى فجئه) بكسر الجيم وقيل بفتحها أي بغتة وكلمة حتى تدل على استمرار ما قبلها فيصبح المعنى :

وما زال يجيء للتزود يذهب للتعبد ويقيم عند اهله طوراً وفي الغار طوراً اخر حتى جاءه الحق وهو في الغار .

والحق : أي الامر او الشيء لانه وحي ثابت من اله تعالى لا اوهام ولا اباطيل[2] .

كم مرة رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خقل عليها ؟! .

ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة مرفوعاً : لم أره ـ يعني جبريل ـ على صورته التي خلق عليها الا مرتين).

---

(١) تزوج رسول الله بعد خديجة سودة بنت زمعة، ثم لم يجمع في بيته امرأتين الا بعد الهجرة بسنة ونصف حيث تزوج عائشة رضي الله عنها .

(٢) انظر الفتح ١/ ٣٢، ومسلم بشرح النووي ٢/ ١٩٩، والمختار، ص ١٧ .

وعند احمد من حديث ابن مسعود : (إن الاولى كانت عندما سأله إن يريه صورته التي خلق عليها، والثانية عند المعراج) .

وذكر في رواية اخرى انه رآه باجياد مرة ثالثة، وروي هذا أيضاً من وجه اخر من رواية ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة عن عائشة فتتقوى الروايتان.

وقد جمع الامام الحافظ ابن حجر بينها، بأن هذه الثالثة يحتمل إن لا يكون رآه فيها على تمام صورته، والله تعالى اعلم .

قوله : (فجاءه الملك) الفاء تفصيلية او تفسيرية[1]، والملك هو جبريل عليه السلام، وأل للعهد

قوله : (اقرأ، قال : ما أنا بقارئ).

دخول الباء في خبر (ما) يدل على انها نافية، لانها تزاد لتأكيد النفي لا الاستفهام، فلو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء، وشذ الاخفش فقال به فيصبح المعنى: أي ما أحسن القراءة، او لسن من القارئين .

فإن قيل : لم كرر ذلك ثلاثاً ؟ وما فائدته ؟

قال الحافظ : اجاب ابو شامة بأن يحمل قوله اولا (ما انا بقارئ) على الامتناع، وثانياً على الاخبار بالنفي المحض، وثالثاً على الاستفهام .

وأما ما جاء في رواية ابن اسحاق : ماذا أقرأ ؟ وفي رواية البيهقي في

---

(١) وليست تعقيبية، لان مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي .

الدلائل، ورواية ابي الاسود عن عروة (كيف اقرأ)، فان صحت هذه الروايات فالجمع بينها ممكن بتوزيع الصيغ الثلاث : كانه والله اعلم لما امره اولاً بالقراءة مبهمة قال : ماذا أقرأ ؟ فقال هل : اقرأ هذا الكتاب، مثلاً، فقال : لست بقارئ، أي لم يسبق لي تعلم القراءة، فما اعاد عليه الامر، قال : كيف اقرأ وقد اوضحت لك العذر ؟! فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق[1] .

قوله : (فاخذني فغطني)

نلاحظ إن الاسلوب تحول، فأصبح الكلام على لسان رسول الله ﷺ، بعد إن كان على لسان عائشة رضي الله عنها، مما يشعر بأن الحديث مسند من اوله الى الرسول عليه السلام، وان كان ظاهره الارسال فهو متصل كما ذكر النووي، وقد تقدم .

والغط : حبس النفس بالخنق، ومنه غطه في الماء .

وفي رواية الطبري : (غتني) وفي رواية اخرى غمني، وعند ابي داود الطيالسي بسند حسن (فأخذ بحلقي) .

قال النووي[2] : معناه عصرني وضمني، يقال : غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه، كله بمعنى واحد .

قوله : (حتى بلغ مني الجهد) :

الجهد فيها لغتان :

١- ضم الجيم ورفع الدال (الجهد) أي الوسع والغاية، فيصبح المعنى :

---

(١) المرج السابق .

(٢) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٩٩ .

بلغ مني الجهد مبلغه وغايته .

٢- فتح الجيم ونصب الدال (الجهد) أي المشقة، فيصبح المعنى، بلغ منى الغط غاية وسعي، او بلغ جبريل مني الجهد .

ما هي الحكمة من هذا الاجهاد ؟!

الجواب : تمرينه ﷺ وتدريبه على ما سيلاقيه من ثل الوحي وشدائد النبوة، وقال النووي : الحكمة في الغط، شغله من الالتفات، والمبالغة في امره باحضار قلبه لما يقوله له، وكرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه، ففيه انه ينبغي للمعلم إن يحتاط في تنبيه المتعلم، وامره باحضار قلبه[١] .

وأيضاً فبالتكرار تزداد روحه تيقظاً وانتباهاً، وتزداد المعلومات ثباتاً ولذلك ينبغي لمن حدث اعادة الكلام ثلاثاً حتى يفهم عنه، وقد صح إن النبي ﷺ كان اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، واستنبط القاضي (شريح) من هنا إن لا يضرب الصبي على القرآن اكثر من ثلاث)[٢] .

قوله : (ثم أرسلني، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ...)

أرسلني : أي أطلقني ،

وفي هذا دليل على إن هذه الايات الخمس هي أول ما نزل من القآن على الاطلاق، وليس يا أيها المدثر كما ذكر بعضهم) وباقي الايات تزلت بعد سنين، وأول سورة نزلت كاملة هي (سورة الفاتحة) على الراجح .

---

(١) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٩٩ .

(٢) المختار، ص ٢٤ .

واما تفسير الايات فيمكن الرجوع الى كتب التفسير للوقوف عليه .

قوله : (فرجع بها رسول الله ﷺ)

أي رجع بالقصة والحادثة، او رجع بالايات الخمس التي نزلت عليه .

قوله : يرجف فؤاده)

أي يضطرب قلبه، وهذا امر متوقع، لانها فطرة الانسان الذي يفاجأ بما لم يكن قد توقع خاصة اذا اقترن بمؤثر بدني .

وفي رواية مسلم : ترجف بوادره، والبوادر، قال الترمذي : قال ابو عبيد وسائر اهل اللغة والغريب : هي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الانسان .

قوله : (فقال : زملوني زملوني) : أي لفوني ودثروني بالثياب، ونلاحظ انه ﷺ جمع المخاطب، أي قال : زملوني، ولم يقل زمليني وذلك لان المراد من الخطاب الحاضرون كلهم من زوج قريب وخادم وغير ذلك، ثم نلاحظ انه وك ذلك بالتكرار، لبيان حاجته الماسة الى التدثير .

قوله : (حتى ذهب عنه الروع) : بفتح الراء أي الفزع، واما بالضم فهو القلب، ومنه حديث : (نفث روح القدس في روعي).

قوله : (فقال لخديجة - واخبرها الخبر - لقد خشيت على نفسي)

أي قال لها بعد إن قص عليها ما حدث معه ﷺ : لقد خشيت على نفسي).

وفي رواية مسلم : ثم قال : أي خديجة مالي ؟! أي ماذا حصل لي ؟!

ما معنى (خشيت على نفسي ؟! ومن أي شيء خشي ؟!

قال الحافظ ابن حجر[1] : والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً :

١- الجنون، وان يكون مارآه من جنس الكهانة، ورده الحافظ

٢- الهاجس، وابطله الحافظ أيضاً .

٣- الموت من شدة الرعب .

٤- المرض .

٥- دوام المرض .

٦- العجز عن حمل اعباء النبوة .

٧- العجز عن النظر الى الملك من الرعب .

٨- عدم الصبر على أذى قومه .

٩- القتل .

١٠- مفارقة الوطن.

١١- التكذيب .

١٢- إن يعيروه .

ثم قال : واولى هذه الاقوال بالصواب واسلمها من الارتياب الثالث

---

(١) الفتح ١/ ٣٣ .

واللذان بعده، وما عداها فهو معترض .

أقول : الثالث : هو خوفه من الموت من شدة الرعب، ولـضعف احتمـال قوته البشرية لتلك القوة الملكية التي كان من آثارها احتباس نفسه، فهذا القـول قريب جداً ومحتمل وهو مـن أرجـح الاقـول، ودل التعـبير عـن ذلـك بـصيغة الماضي (خشيت) ولا بصيغة المضارع على إن الخشية انقطعت ولم تبق الى زمـن التكلم .

واما اللذان بعده : المـرض ودوامـه فهمـا منزوعـان مـن الثالـث، وسـائر الاقوال بعيدة، باستثناء القول الاول الذي ابطله الحافظ، فأقول : بما إن التعـبير بالماضي، فماذا يمنع إن يكون خشي على نفسه مس الجن او الـشياطين ابتـداءًا، أي في اللحظة الاولى لملاقاة الملك وضمه ضماً شديداً، ثم لما تنزل عليه القـرآن فقد علم علماً ضرورياً بأن ما أتاه ملك وانه من عند الله، فلا استمرار اذا لهـذا التوقع، والله اعلم .

قوله : (كلا والله لا يخزيك الله ابداً)

كلا : ١- نفي للشيء باسلوب جازم أي : لـيس هنـاك مـا يوجـب هـذا الخوف.

٢- نهـي وزجـر : أي لا تخـف بـل ابـشر، وفي روايـة مـسلم : (كـلا أبشر ...)

ويخزيك : من الخزي وهو الفضيحة والهوان والذل، وفي رواية : (يحزنك) وهو من الحزن، قال النووي : وكلاهما صـحيح، ثـم اسـتدلت خديجـة رضـي الله عنهـا علـى مـا اقـسمت عليـه مـن نفـي الخـزي او الحـزن بـامر وصـفته

بأصول مكارم الاخلاق لما عرفته من شريف خصاله التي يجمعها : نصرة الحق ومعونة الخلق من قريب او بعيد بالبدن او بالمال .

قوله : (انك لتصل الرحم)

أي القرابة، وذلك بالاحسان اليهم بالمال وغيره من انواع البر لان الرحم من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله .

وعلى هذا تكون صلة الرحم على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك، ثم إن صلة الرحم لا تقتصر على النساء فقط بل تشمل النساء والرجال، وحد الرحم من جهة النساء من لايجوز لك إن تتزوجها (أي من المحارم) واما بنت العم، فان كانت ممن يحسن اليها لا لانقطاعها عن زوج ابن او اخ او أي محرم من محارمها يجوز وصلها والاحسان بها في حدود الشرع .

قود اخرج البخاري من حديث ابي هريرة وعائشة مرفوعاً : (الرحم شجنة من الرحمن، قال الله : من وصلك وصلتخ، ومن قطعك قطعته)، ومثله من حديث عائشة ايضاً اخرجه مسلم، ونحوه من حديث عبد الله بن عمرو عن احمد والطبراني باسناد صحيح .

قوله : (وتحمل الكل) بفتح الكاف، ومنه قوله تعالى : (وهو كل على مولاه) والكل : العاجز الذي لا يستقل بأمره كالضعيف واليتيم والعيال، بل يحتاج الى غيره، وهو من الكلال أي الاعياء .

قوله : (وتكسب المعدوم) بالفتح ورجحه النووي وغيره وقال : هذا هو الصحيح المشهور، فمعناه على هذا :

١-تنال من المكارم ومعالي الامور مالا يناله غيرك لانك سباق الى المكرمات

٢- تنال المال العظيم الذي يعجز عنه غيرك تم تجود به في وجوه الخير وابواب المكارم كما ذكرت خديجة رضي الله عنها .

وقيل : بالضم (تكسب) فيكون المعنى)

١- تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، او تعطي عادم الشيء ما هو معدوم عنده فبهذا تكون قد استفدت رجلاً عاجزاً .

٢- تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الاخلاق

والمعدوم : هو الشخص المعدم الذي لا مال له، أي العاجز عن الكسب .

وقال الخطاب : المعدم : بلا واو أي الفقير، والكسب هو الاستفادة .

قوله : (وتقري الضعيف) : بفتح التاء : تقدم له قراه وهو ما يلزم لضيافته، قال اهل اللغة : يقال : قريت الضيف اقريه قرى أي اقدم له ما يلزم من ضيافة ويقال لفاعله : قار .

قوله : (وتعين على نوائب الحق)

النوائب : جمع نائبة، وهي الحادثة، وتعين : تساعد، وهذه الجملة جامعة لافراد ما تقدم ولما لم يتقدم من ذكر خصال الخير، كأنها قالت : وهلمّ جرّا ..)

ونلاحظ إن اعانته على النوائب مقيدة بالحق، لان النائبة قد تكون الخير، وقد تكون في الشر، ولما كان عون الظالمين او المعتدين من صفات الجاهلية، وما كان رسول الله ﷺ ليفعله، وهذا ليس من صفات المدح عند العقلاء .

قال النووي[1] : قال العلماء : معنى كلام خديجة رضي الله عنها : انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الاخلاق وكرم الشمائل وذكرت ضروباً من ذلك .

* وفي هذا دلالة على إن مكارم الاخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء .

* وفيه مدح الانسان في وجهه في بعض الاحوال لمصلحة ما .

* وفيه تانيس من حصلت له مخافة من امر، وتبشيره، وذكر اسباب السلامة له .

* وفيه اعظم دليل وابلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها .

أقول : وفيه بيان لاهمية موقف الزوجة الصالحة، ولهذا حث الاسلام على الزواج من المؤمنات الصالحات .

* وفيه ايضاً ينبغي لمن فاجأه امر إن يطلع علهي من يثق بنصحه وسداد رأيه.

قوله : (فانطلقت به خديجة) : أي مضت وذهبت معه على اثر ذلك، فالباء للمصاحبة، وفي رواية : (ثم انطلقت به) وفيها انها ذهبت وحدها أولاً.

قوله : (حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى)

ورقة : بفتح الراء، ونوفل ابوه، فيقرأ (ابن نوفل) منصوباً ويقرأ في باقي

---

(١) مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٠٢ .

الابناء بالجر .

قوله : (وهو ابن عم خديجة)

لانها بنت خويلد بن اسد، فخويلد ونوفل اخوان .

لكن لماذا اختارت خديجة ورقة للاستئناس برأيه دون سواه؟!

وذلك لان ورقة يتمتع بجملة صفات كانت داعية الى ذلك، وهي :

١- كونه ابن عمها، فيكون اكثر اخلاصاً في النصح والارشاد .

٢- **قولها (وكان امرا قد تنصر في الجاهلية)**

أي انه كان صاحب دين سماوي في الوقت الذي كان فيه عامة الناس في ضلالة وجهالة، فيؤخذ من ذلك خبرته وصحة رأيه فيما يتعلق بالدين .

٣- **قولها : (وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله إن يكتب)** وفي رواية مسلم : (وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية) .

ولا تعارض بينهما لان ورقة تعلم اللسان العبراني والكتابة العبرانية فكان يكتب الكتاب العبراني كما كان يكتب الكتاب العربي، لتكمنه من الكتابين واللسانين، ومن المعلوم إن الانجيل نزل بالسريانية، والتوراة بالعبرانية، فإن كان نسخة الانجيل في زمانه سريانية كان عالماً بالسريانية أيضاً، وعلى أي حال فلم تكن هناك نسخة عربية لا للتوراة ولا للانجيل اذ ذاك .

وانما أرادت خديجة رضي الله عنها الاستئناف برأيه حيث انه جمع الى التدين منقبة العلم والاطلاع على الكتب السماوية والقدرة على فهمها .

قال الحافظ : وانما وصفته بكتابة الانجيل دون حفظه لان حفظ التوراة والانجيل لم يكن متيسراً كتيسر حفظ القرآن الذي خصت به هذه الامة، فلهذا جاء في صفتها : (اناجيلها صدورها).

٤- قولها : وكان شيخاً كبيراً قد عمي) أي رجلاً طاعناً في السن حتى اصيب في بصره فيكون اذا من اهل التجارب المحنكين، وهكذا هم اهل الشورى وموضع السر .

قوله : (فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن اخيك)

هذا البدء بالتعارف عند التخاطب من الاداب المستحسنة التي لا ينبغي لاهل الادب اغفالها، ولكي يتاهب لسماع كلام النبي ﷺ، وذلك أبلغ في التعليم والتعظيم .

وقد وقع عند مسلم : (يا عم) وهو وهم، واحتماله بعيد لان القصة لم تتعدد ومخرجها متحد، وقال النووي : (وكلاهما صحيح، والعرب تتخاطب بهذا، وكون الرسوم ﷺ ابن اخي ورقة فليس على وجه قرابته المباشرة بل لما كان ابوه عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، موازياً في النسب لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كان عبد الله وورقة ابني عم يجتمعان في قصي وهو الاب الخامس .

قوله : (فقال له ورقة : يابن اخي ماذا ترى ؟!) بصيغة المضارع استحضاراً لصورة الماضي .

وقال الحافظ[1] : فيه حذف يدل عليه سياق الكلام، وقد صرح به في

---

(١) فتح الباري ١/ ٣٥ .

دلائل النبوة لابي نعيم بسند حسن قال : فأتت به ورقة ابن عمها فأخبرته بالذي رأى) .

قوله : (فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى)

أي اخبره خبره بقصة الواقعة التي جرت له .

قوله : (فقال له ورقة : هذا الناموس الذي انزل الله على موسى)

هذا : اسم اشارة للقريب، والمقصود الملك الذي ذكره النبي في خبره ونزله منزلة القريب لقرب ذكره .

والناموس :

١- قال الزبيدي : هو صاحب سر الملك الذي لا يحضر الا بخير .

٢- وقيل : هو صاحب السر مطلقاً من خير او شر .

٣- الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر .

وقد رجح الحافظ في الفتح القول الثاني وقال : هو الصحيح الذي عليه الجمهور، والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام لانه مخصوص بالوحي والغيب الذي لا يطلع عليهما احد من الملائكة غيره .

لماذا خص موسى بالذكر ؟ ولم يقل عيسى مع انه نصراني ؟

الجواب من وجوه :

١- لان كتاب موسى مشتمل على اكثر الاحكام بخلاف عيسى عليهما السلام وكذلك النبي ﷺ فإن كتابه القرآن مشتمل على عامة الاحكام .

٢- لان موسى بحث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف عيسى، كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الامة وهو ابو جهل بن هشام ومن معه ببدر .

٣- لان نزول جبريل على موسى متفق عليه بني اهل الكتابين فنبوته متحققة، بخلاف عيسى فان كثيراً من اليهود نبوته، والنصارى رفعوه الى درجة الالوهية .

هذا وقد روي في دلائل النبوة لابي نعيم باسناد حسن الى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة إن خديجة اولاً أتت ابن عمها ورقة فاخبرته الخبر، فقال: لئن كنت صدقتني انه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو اسرائيل ابنائهم).

فكان مرة يقول ناموس موسى، ومرة ناموس عيسى، فعند اخبار خديجة له بالقصة، قال لها : ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية، وعند اخبار النبي ﷺ قال له : ناموس موسى، ويحتمل إن يكون عبر بهما جميعاً وانما اقتصر الراوي على احدهما نسياناً او اكتفاءً .

قوله : (ياليتني فيها جذعاً) وعد البخاري في رواية الاصلي : (جذع) والمشهور بالنصب : وذلك :

أ – على انه خبر كان المقدرة أي ياليتني أكون فيها جذعاً .

ب- على الحال اذا جعلت (فيها) خبر ليت .

جـ- وقيل : التقدير : ياليتني جعلت فيها جذعاً .

والصحيح انها حال واختاره القاضي والنووي وغيرهما .

والجذع : بفتح الجيم، هو الصغير من البهائم، وهو هنا استعارة، ويعني شاباً قوياً .

والجذع : ما بلغ من الابل أربع سنين ودخل في الخامسة .

والجذع : ما بلغ من البقر سنتين ودخل في الثالثة .

والجذع : ما بلغ من الغنم سنة ودخل في الثانية، وذلك زمن الفتوة في كل، وقد تمنى إن يكون شاباً ليكون أمكن لنصرته .

قوله : (يا ليتني أكون حياً اذ يخرجك قومك)

اذ : الظرفية مرتبطة بأمنيته الاولى وامنيته الثاني، وفي رواية اخرى للبخاري : حين يخرجك قومك .

فقد تمنى ورقة اولاً إن يكون شاباً قوياً ليتمكن من نصرة الرسول عليه السلام ثم نظر فإذا بها امنية مستحيلة مع كبر سنه وضعف قوته، فتمنى الثانية التي هي اقرب للحدوث، ليبقى حياً مع رسول الله ﷺ بلسانه وقوة ايمانه وفيه دليل على جواز تمني المستحيل اذا كان في فعل خير .

قوله : (فقال رسول الله ﷺ : او مخرجي هم ؟!

الهمزة للاستفهام عن مقدر مطوي، والوار عاطفة على ذلك المقدر، كانه قال : ايعادونني ثم يبلغ من عداوتهم لي إن يخروجوني ؟! واستبعد النبي ﷺ إن يخرجوه لانه لم يكن فيه سبب يقتضي الاخراج لما اشتمل عليه من مكارم الاخلاق التي تقدم من خديجة وصفها .

و(هم) : مبتدأ مؤخر، ومخرجي : خبر مقدم .

قوله : (قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي)

وفي رواية : الا اوذي، وسببه : مجيؤه ﷺ بالانتقال عن مألوفهم، ولانه علم من الكتب انهم لا يجيبونه الى ذلك، وانه يلزمه لذلك منابذمتهم ومعاندتهم فتنشأ العداوة من ثم .

ولم يقل ورقة (الا اخرج) لان هذا ليس مطرداً، فالحكم إن قريشاً ستخرج الرسول ﷺ مأخوذاً من هذه القضية الاستقرائية بل يكون ورقة اخذه من نص آخر[1] .

قال الحافظ : وفيه دليل على إن المجيب يقيم الدليل على ما يجيب به اذا اقتضاه المقام .

قوله : (وان يدركني يومك) إن : شرطية، وما بعدها مجزوم، وفي رواية ابن اسحاق (إن ادركت ذلك اليوم) أي يوم اعلانك بالنبوة ودعوتك لقومك وتكذيبهم وعداوتهم لك، واخراجهم اياك من قريتك .

قوله : (انصرك نصراً مؤزراً) مأخوذ من الازر وهو القوة، والتأزير : التقوية، فالنصر قوي لا وهن فيه .

وقال ابو شامة : يحتمل إن يكون من الازار، اشار بذلك الى تشميره في نصرته، قال الاخطل : قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم) .

وفي الحديث الصحيح : (كان رسول الله ﷺ اذا دخل العشر الاواخر جد وشد المئزر)، وذلك لان الذي يشد عليه الازار يقوى عصبه ويستقيم صلبه .

---

(١) المختار، ص ٣٦- ٣٧ .

قوله : (ثم لم ينشب ورقة إن توفى)

لم ينشب : أي لم يلبث، ونشب الشيء في الشيء ـ بكسر الشين ـ نشوباً تعلق به، أي إن ورقة لم يتعلق بشيء من الامور حتى مات، وهو كناية عن عدم استمرار حياته بعد ذلك لان الحي لا يخلو عن عمل .

وبهذا يكون قد مات مؤمنا بمحمد ﷺ كما امن بموسى وعيسى عليهما السلام، فلعله ممن يؤتون اجرهم مرتين .

قال الحافظ : وهذا بخلاف ما في السيرة لابن اسحق إن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب، فهذا يقتضي انه تأخر الى زمن الدعوى، والى إن دخل بعض الناس في الاسلام، فان تمسكنا بالترجيح ن فما في الصحيح اصح .

قوله : (وفتر الوحي) : من الفتور ضد الحدة، أي لم يعد عن قرب ولم يتتابع بل مضت عليه فترة طويلة كما في صحيح البخاري : (وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما اوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد انك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي عدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك)[١] .

قال الحافظ : وقع في تاريخ احمد بن حنبل عن الشعبي إن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين، وبه جزم ابن اسحاق، وحكى البيهقي إن مدة الرؤيا كانت ستة اشهر) .

---

(١) المختار، ص ٣٨ .

ورواية البخاري لا تنافي هذه التقديرات، حيث فيه (افـتر فـترة طويلـة) واما ما رواه ابن عباس : إن الفترات التي كان يسكن فيها جأش الرسول ﷺ انما كانت اياماً ثم يعاوده الحزن فانه لا يعارض ما تقدم من روايات، لانه لا تحديد في كلام ابن عباس لمجموع مدة الفترة، والله اعلم .

وبهذا تكون فترة الوحي ومدة الرؤيا ثلاث سنين وهي مدة النبـوة الـتي لم يؤمر فيها بالتبليغ .

فمن احتسبها مع ما بعدها كانت مدة اقامتـه ﷺ بمكـة ثـلاث عـشرة سـنة ومن لم يحتسبها كانت عشر سنين، والله الموفق .

الحديث الثالث

قال البخاري : حدثنا عبدان ،قال : اخبرنا عبد الله، قـال : اخبرنـا يـونس عن الزهري، ح وحدثنا بن محمد، قال : اخبرنا عبد الله ن قال : اخبرنـا يـونس ومعمر عن الزهري نحوه قال : اخبرني عبيد الله بـن عبـد الله عـن ابـن عبـاس قال: كان رسول الله ﷺ اجود الناس وكان اجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ،وكان يلقاه في كل ليلة من رمـضان فيدارسـه القـرآن، فلرسـول الله ﷺ اجود بالخير من الريح المرسلة).

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي الى رسـول الله ﷺ (فتح ١/ ٤٠رقم ٦، واخرجه ايضاً تحت الارقام التاليـة : ١٩٠٢ ،٣٢٢٠، ٣٥٥٤، ٤٩٩٧، ومسلم في الفضائل بـاب جـوده ﷺ (مـسلم بـشرح النـووي ١٥/ ٦٨) واحمد في مسنده ١/ ٢٣١، ٢٨٨، ٣٢٦، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٣، وغيرهم .

ترجمة رجال السند :

١- عبدان : لقب، واسمه عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابـي رواد العتكـي، ابو عبد الرحمن المروزي، ثقة، حافظ ن مات سنة ٢٢١ هـ، في شعبان .

٢- عبد الله : بن المبارك المروزي، مولى بـني حنظلـة، ثقـة، ثبـت، فقيـه، عـالم جواد، مجاهد، مات سنة ١٨١هـ، وعمره ثلاث ستون .

٣- يونس : بن يزيد بن ابي النجاد الايلي، أبو يزيـد، مـولى آل ابـي سـفيان،

ثقة، الا إن في روايته عن الزهري وهما قليلاً، مات سنة ١٥٩هـ .

٤- الزهري : سبقت ترجمته في الحديث الثاني .

٥- بشر بن محمد : السختياني، ابو محمد المروزي، صدوق، مات سنة ٢٢٤هـ.

٦- معمر : بن راشد الازدي مولاهم، ابو عروة البصري، ثقة ثبت، فاضل مات سنة ١٥٤هـ .

٧- عبيد الله : بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الذهلي، ابو عبد الله المدني، ثقة فقيه، ثبت، مات سنة ٩٤هـ .

٨- ابن عباس : هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله صلى الله علهي وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، كان يسمى حبر الامة لسعة علمه، وهو احد المكثرين من الرواية من اصحاب الرسول عليه السلام، واحد العبادلة من فقهاء الصحابة، مات سنة ٦٨هـ بالطائف .

ملحوظة : يتضح من خلال الاسناد إن عبد الله بن المبارك حدث به عبدان عن يونس وحده، وان بشر بن محمد حدث به عن يونس ومعمر معاً، باللفظ عن يونس، وبالمعنى عن معمر، ففي الاسناد اقترن يونس بمعمر، فتكون متابعة في نفس الاسناد .

وكذا اخرجه مسلم باسانيد على هذا النسق .

شرح الحديث :

قوله : (كان رسول الله ﷺ احود الناس)

اجود : خبر كان منصوب، واجود الناس : أي اكثرهم جوداً (كرماً) على

الدوام وبشكل مستمر لا ينقطع .

ما معنى الجود شرعاً ؟!

هو من الصفات المحمودة التي تعني اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي فهو اعم من الصدقة وهو من صفات الله تعالى، وقد اخرج الترمذي من حديث سعد يرفعه: (إن الله جواد يحب الجود)[١]، واخرج البيهقي في الشعب من حديث طلحة بن عبيد الله، وابو نعيم في الحليلة من حديث ابن عباس باسناد صحيح (إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الاخلاق ويكره سفاسفها) .

واخرجا في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ احسن الناس، وكان أجود الناس، وكان اشجع الناس ..).

وليس أدل على سعة جوده ﷺ وعمومه من وصف خديجة رضي الله عنها له بعيد عودته من الغار حينما قالت : (انك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف ...) ويندر إن تجتمع هذه الصفات في رجل .

قوله : (وكان اجود ما يكون)

اجود : اسم كان مرفوع ن وخبره متعلق الجار والمجرور (حاصلاً) والتقدير : وكان جوده حاصلاً، أو هو مرفوع على انه مبتدأ مضاف الى المصدر (ما يكون) والتقدير : اجود اكوان رسول الله ﷺ في رمضان) .

---

(١) هذا الجزء من الحديث يصح بالشواهد، وتتمة الحديث : (إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة) اخرجه الترمذي في الادب رقم ٢٩٥١ وقال : حديث غريب وقال ابن الياس يضعف .

قال ابن الحاجب : الرفع في اجود هو الوجه .

وقال النووي : الرفع اصح واشهر .

وقال الحافظ : هو هكذا في اكثر الروايات والى هذا جنح البخاري[(١)] .

وقيل : يجوز النصب، على انه خبر كان، والتقدير : كان رسول الله ﷺ مدة كونه في رمضان اجود منه في غيره .

قوله : (في رمضان) اذ كان النبي ﷺ يختار الاكثار من الجود في رمضان، وذلك لـ :

١- فضله فهو موسم الخيرات، لان نعم الله فيه زائدة على غيره .

٢- لشكر نزول جبريل عليه السلام كل ليلة .

قوله : (حيث يلقاه جبريل) يحتمل إن يكون زيادة الجود :

١- بمجرد لقاء جبريل عليه السلام .

٢- بمدارسة ايات القرآن لما فيه من الحث على مكارم الاخلاق .

٣- بمجموع اللقاء والمدارسة، وهو الاوجه .

قوله : (فيدارسه القرآن) أي يذاكره، والمدارسة القراءة المشتركة تفادياً للاخطاء .

قال الحافظ : والحكمة فيه : إن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى

---

(١) انظر الفتح ١/ ٤١، مسلم بشرح النووي ١٥/ ٦٩ .

النفس، والغنى سبب الجود، فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به، والنازل، والمذاكرة حصل المزيد في الجود .

قوله : (فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة) .

الفاء : للسببية، واللام للابتداء وزيدت على المبتدأ تأكيداً .

والريح المرسلة : أي المطلقة المخلاة على طبعها، والريح لو ارسلت على طبعها لكانت في غاية الهبوب مع دوامها بالرحمة وعموم المنفعة، وفي ذلك اشارة الى عموم النفع بجوده ﷺ، وان سجاياه وطبائعه مجبولة على الجود والكرم والسخاء .

وفي حديث جابر في الصحيح : (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال : لا)[1]، وعند احمد زيادة في آخر حديث ابن عباس هذا : (لا يسأل شيئاً اعطاه).

واعطى ﷺ غير واحد مائة من الابل، واعطى اخر غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال : اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر[2] .

وسيرته ﷺ شاهدة على انفاقه وسخائه فما اثر عنه مرة واحدة انه رد سائلاً محتاجاً او غير محتاج .

---

(١) اخرجخ مسلم في كتاب الفضائل حديث رقم ٥٦ .

(٢) اخرجه مسلم في كتاب الفضائل حديث رقم ٥٧، واحمد ٣/ ١٠٨، ١٥٧ .

قال النووي : في هذا الحديث فوائد :

١- بينان عظم جوده ﷺ .

٢- استحباب اكثار الجود في رمضان .

٣- زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم .

٤- استحباب مدارسة القرآن وخاصة في رمضان .

وقال الحافظ :

٥- وفيه زيارة الصلحاء واهل الخير وتكرار ذلك اذا كان المزور لا يكره .

٦- وفيه بيان إن القراءة أفضل من الذكر، اذ لو كان الذكر أفضل لفعلاه .

٧- وفيه اشارة الى إن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان، بدليل إن جبريل عليه السلام كان يدارسة من رمضان الى رمضان .



الوحدة الثانية

دراسة ثلاثة احاديث من كتاب الانبياء من صحيح البخاري / شرح فتح الباري وهي :

١- حديث ابي هريرة : (نحن احق بالشك من ابراهيم ...)

٢- حديث ابي هريرة : (أرسل ملك الموت الى موسى ...)

٣- حديث ابي هريرة : (ليوشكن إن ينزل عليكم ابن مريم ...)

المطلوب من صحيح مسلم بشرح النووي دراسة ذاتية :

كتاب الامارة :

ويأتي في الجزء الثاني عشر ص ١٩٩- ١٤٥ .

والجزء الثالث عشر ص ٢- ٧٢ .



الحديث الرابع

قال البخاري : حدثنا احمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، قال : اخبرني يونس عن ابن شهاب، عن ابي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال :

(نحن احق بالشك من ابراهيم، اذ قال : (رب ارني كيف تحيي الموتى، قال : او لم تؤمن ن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي)[1]، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد، ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي) .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب الانبياء باب (واذ قال ابراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى) فتح ٦/ ٤٧٣، واخرجه بالارقام ٣٣٧٥، ٣٣٨٧، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢، ومسلم في كتاب الايمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الادلة (٢/ ١٨٢ مسلم بشرح النووي)، وغيرهما .

ترجمة رجال الاسناد :

١- احمد بن صالح : المصري، ابو جعفر بن الطبري، ثقة، حافظ، تكلم فيه النسائي من أجل اوهام له قليلة، ونقل عن ابن معين تكذيبه، وجزم ابن

---

(١) سورة البقرة، اية ٢٦٠ .

حبان بانه انما تكلم في اغحمد بن صالح الشموني، فظن النسائي انه عنى ابن الطبري، مات سنة ٢٤٨هـ، وعمره ٧٨سنة .

٢- ابن وهب : هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم، ابو محمد المصري، فقيه، ثقة، حافظ، عابد، مات سنة ١٩٧هـ وعمره ٧٢ سنة .

٣- يونس : بن يزيد، سبقت ترجمته في الحديث الثالث .

٤- ابن شهاب : الزهري، سبقت ترجمته في الحديث الثاني .

٥- ابو سلمة بن عبد الرحمن : بن عوف الزهري، قيل اسمه عبد الله وقيل : اسماعيل، ثقة مكثر، مات سنة ٩٤ هـ، وكان مولده سنة بضع وعشرني .

٦- سعيد بن المسيب : بن حزن بن ابي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، احد العلماء الاثبات، الفقهاء الكبار، اتفقوا على ام مرسلاته من اصح المراسيل، وقال ابن المديني : لا اعلم في المدينة اوسع علماً منه ن مات بعد ٩٠هـ وقد ناهز الثمانين .

٧- ابو هريرة : الدوسي، الصحاب الجليل، حافظ الصحابة، اختلف اسمه، واسم ابيه على نحو عشرين قولاً، اشهرها عبد الرحمين بن صخر، وذهب اليه الاكثرون، مات سنة ٥٨هـ، وعمره ٧٨سنة .

ملحوظة : واضح من خلال الاسناد إن البخاري رحمه الله روى الحديث من طريقين معاً، وكذا اخرجه مسلم على هذا النسق، واخرجه ايضاً من طريق مالك عن الزهري، ومن طريق ابو اويس (عبد الله بن عبد الله بن اويس الاصبحي) عن الزهري به .

فيكون مالكاً قد تابع بهذا يونس، وتابع ابا اويس ايضاً، والعكس كذلك صحيح .

شرح الحديث

قولـه : (يـنحن احـق بالـشك مـن ابـراهيم اذ قـال : رب ارنـي كيـف تحيـي الموتى) ؟

في هذا الجزء من الحديث مسألتان :

١- قوله : (نحن احق بالشك) أي لماذا الرسول محمد ﷺ احق بالشك ؟

٢- قوله : (بالشك) فما هو الشك ؟!

ونبدأ بالمسألة الاولى : وهي قوله : (نحن احق بالشك من ابراهيم) .

هناك مجموعة اقوال للعلماء في هذا :

١- معناه : (نحن اشد اشتياقاً الى رؤية ذلك من ابراهيم)

٢- وقال بعضهم : (لما نزل قول الله تعـالى : (او لم تـؤمن) قالـت طائفـة : شك ابراهيم ولم يشك نبينا، فقال رسول الله ﷺ : نحن احق بالشك منـه) ويريد بهذا دفع الشك عنه .

٣- وقيل : انه خرج مخرج العادة في الخطاب، فان من اراد المدافعة عن انسان قال للمتكلم فيه : ما كنت قائلاً لفلان او فاعلاً معه من مكروه فقله لـي وافعله معي، ومقصودة، لا تقل ذلك فيه .

٤- وقيل : معناه : أن هذا الذي تظنونه شكا انا اولى بـه، فإنـه لـيس بـشك، وانما هو طلب لمزيد اليقين .

٥- وقيل : أراد بقوله : (نحن امته الذين يجوز عليهم الشك، واخرجه هو منه بدلالة العصمة) .

٦- وقال بعض علماء العربية : إن افعل ربما جاءت لنفي المعنى عن الشيئين نحو قوله تعالى : (اهم خير ام قوم تبع) أي لا خير في الفريقين، فيصبح المعنى : لا شك عندنا جميعاً .

٧- وقال ابن الجوزي : انما صار احق من ابراهيم، لما عانى من تكذيب قومه وردهم عليه، وتعجبهم من امر البعث فقال : انا احق إن اسأل ما سأل ابراهيم، لعظيم ما جرى لي مع قومي المنكرين لاحياء الموتى، ولمعرفتي بتفضيل الله لي، ولكن لا أسأل في ذلك .

٨- قال النووي في شرح مسلم ٢/ ١٨٣:

احسن الاقوال واصحها، ما قاله الامام ابو ابراهيم المزني صاحب الشافعي وجماعات من العلماء معناه :

(إن الشك مستحيل في حق ابراهيم فإن الشك في احياء الموتى لو كان متطرقاً الى الانبياء لكنت انا احق به من ابراهيم، وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا إن ابراهيم عليه السلام لم يشك، وانما خص ابراهيم عليه السلام لكون الاية قد يسبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك، وانما رجح ابراهيم على نفسه تواضعاً وأدباً، او قبل إن يعلم ﷺ انه خير ولد آدم .

أقول : ولا تعارض بين هذه الاقوال جميعها، انما بعضها أقرب الى المراد من بعض، واقرب القريب والله أعلم، ما رجحه النووي، وهو القول الاخير . اما المسألة الثانية : وهي قوله : (بالشك) فقد اختلف العلماء في المراد بالشك في الحديث على أقوال :

١- حمله بعضهم على ظاهره وقال : كان ذلك قبل النبوة .

٢- وحمله الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان، لكنها لم تستقر، ولا زلزلت الايمان الثابت، واستند في ذلك الى عدة روايات عن ابن عباس من طريقه وطريق غيره في معرض تفسيره للاية : ﴿**قال رب ارني كيف ..**﴾ قال ابن عباس : هذا لما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان، فرضي الله من ابراهيم عليه السلام بأن قال : (بلى) قال الحافظ عقب ذكره للطرق : وهذه طرق يشد بعضها بعضاً) وقال عطاء في تفسير هذه الاية : (دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال ذلك) .

٣- وقيل : (إن ابراهيم عليه السلام دعا بذلك ليطمئن الى انه خليل الرحمن فقد روى ابن ابي حاتم من طريق قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قال: (ليطمئن قلبي أني خليلك) وفي رواية اخرى عنده وعند الطبري : (فقام ابراهيم يدعو ربه : رب ارني كيف تحيي الموتى حتى اعلم اني خليلك).

٤- انه اراد اختبار منزلته عند ربه في اجابة دعائه، وعلى هذا قالوا : معنى قوله تعالى : (او لم تؤمن) أي تصدق بعظم منزلتك عندي .

ولهذا روى ابن ابي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس : (لاعلم انك اجبت دعائي) وفي رواية (لاعلم انك تجيبني اذا دعوتك) .

٥- انه لما احتج على المشركين بان ربه سبحانه وتعالى يحيي ويميت، طلب ذلك منه سبحانه وتعالى ليظهر دليله عياناً، ولهذا اخرج ابن ابي حاتم عن عكرمة قال : المراد (ليطمئن قلبي انهم يعلمون انك تحيي وتميت) .

٦- وقيل : معناه : اقدرني على احياء الموتى فتأدب في السؤال، وقال ابن الحصار : انما سأل إن يحيي الله الموتى على يديه فلهذا قيل له في الجواب :

﴿فصرهن اليك ﴾

٧- حكى ابن التين عن بعضهم : انه اراد بقوله : (قلبي) رجلاً صالحاً كـان يصحبه سأله عن ذلك ن وهذا بعيد .

٨- وابعد منه ما حكاه القرطبي المفسر عن بعض الصوفية انه سال من ربه إن يريه كيف يحيى القلوب .

٩- وقيل : اراد طمانينة النفس بكثرة الادلة ومشاهدة الاحياء .

١٠- وقيل أراد محبة المراجعة في السؤال .

١١- قال النووي : اظهر الاوجـه : انـه اراد الطمأنينـة بعلـم كيفيـة الاحيـاء مشاهدة بعد العلم بها استدلالاً، فـإن علـم الاسـتدلال قـد تتطـرق اليـه الشكوك في الجملة بخلاف علم المعاينة فانه ضروري .

ولهذا قال الحافظ في الفتح : قال ابن عطية : واما الشك وهو التوقف بـين الامرين من غير مزية لاحدهما على الاخر، فهو منفي عن الخليـل قطعـاً لانـه يبعد وقوعه ممن رسخ الايمان في قلبه، فكيف بمن بلغ رتبة النبوة .

١٢- انه سال زيادة يقين، وان لم يكن الاول شـكا، فـسأل الترقـي مـن علـم اليقين الى عين اليقين، فإن بين العلمـين تفاوتـاً، قـال سـهل بـن عبـد الله التستري : سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكناً .

١٣- قال الامام ابو الحسن الواحدي رحمه الله : الاكثرون على انه رأى جيفة بساحل البحر يتناولها السباع والطير ودواب البحر، فتفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة، وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحيه ربه، ولم يكن شاكاً في احياء الموتى ولكـن احـب رؤيـة ذلـك كمـا إن المـؤمنين يحبـون

رؤية النبي ﷺ، والجنة، ويحبون رؤية الله تعالى مع الايمان بكل ذلك .

١٤- قال بعض العلماء العربية : الهمزة في قوله تعالى : (او لم تؤمن) ؟ همزة اثبات، كقول جرير : الستم خير من ركب المطايا[1]؟!

وكذا قال الحافظ : الاستفهام للتقرير ووجهه انه طلب الكيفية، وهو مشعر بالتصديق بالاحياء .

اقول : بعد النظر والاطلاع في هذه الاراء نتبين انها جميعها تشترك في غاية واحدة وهي : دفع الشك ـ بمعناه الظاهر ـ عن ابراهيم عليه السلام، باستثناء القول الثاني وهو قول الطبري، وبعضها بعيد جداً كالقول الاول والسابع والثامن والعاشر وارجح هذه الاقوال واقربها الى الصواب القول الحادي عشر والثاني عشر، والله اعلم .

قوله : (ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي الى ركن شديد)

لوط : هو ابن هاران بن تارخ ابو ازر، وهو ابن اخي ابراهيم عليه السلام[2] هاجر معه، قادماً من العراق الى بلاد الشام، وقد قص علينا القرآن خبره مع قومه في مواطن متفرقة من القرآن الكريم في السور : الاعراف وهود والشعراء والنمل والصافات والقمر والنجم وق الحجر والذارايات والانبياء وغيرها، وملخص قصته مع قومه كما قال الحافظ في الفتح : انهم ابتدعوا وطء الذكور[3] فدعاهم لوط الى التوحيد والى الاقلاع عن الفاحشة فأصروا على

---

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٤٧٤- ٤٧٥- ومسلم بشرح النووي ٢/ ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) وقيل : ابن عمه، وهو الوحيد من اقربائه الذي آمن به وهاجر معه .

(٣) أي اللواط، وبالمناسبة فلا علاقة بين اسم لوط واللواط .

الامتناع، ولم يتفق إن يساعده منهم احد، وكانت مدائنهم تسمى سدوم، وهي بغور زغر من البلاد الشامية، فلما اراد الله اهلاكهم بعث جبريل وميكائيل واسرافيل الى ابراهيم عليه السلام فاستضافوه فخاف عليهم من قومه، واراد إن يخفي عليهم خبرهم، فنمت عليهم امرأته فجاءوا اليه وعاتبوه على كتمانه امرهم وظنوا انهم ظفروا بهم، فإهلكهم الله على يد جبريل فقلب مدائنهم بعد إن خرج عنهم لوط باهل بيته الا امرأته فإنها تأخرت مع قومها / او خرجت مع لوط فأدركها العذاب، فقلب جبريل المدائن بطرف جناحه فصار عاليها سافلها، وصال مكانها بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بشيء مما حولها)[1] .

والركن الشديد : ذكره القرآن في قوله تعالى : ﴿**لو إن لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد**﴾[2] .

ومعناه في الاية : أي عشيرة كبيرة تمنع الضيوف (الملائكة) من الظالمين اما معنى الركن الشديد في الحديث : أي إن لوط عليه السلام كان يأوي الى الله، وكفى بالله ناصراً وحافظاً .

لكن، اين عشيرة لوط، ولما لم يكن له عشيرة ؟!

وذلك إن قوم لوط لم يكن فيهم احد يجتمع معه في نسبه لانهم سدوم وهي من الشام، وكان اصل ابراهيم ولوط عليهما السلام من العراق،

---

(١) المقصود البحر الميت، وهو معروف، ماؤه مالح، لا يعيش فيه كائنات حية، وانما يستفاد منه في بعض الصناعات، ولعل ابن حجر قال : لا ينتفع بمائها، نظراً لزمانه، او نظراً للملوحته .

(٢) سورة هود، اية ٨٠ .

فلما هاجر ابراهيم الى الشام هاجر معه لوط، فبعث الله لوطاً الى اهل سدوم فحصل **معه** ما حصل فقال ما قال .

ولهذا جاء في بعض طرق الحديث كما اخرجه احمد، ذكره وقال في اخره : (فما بعث الله نبياً الا في ذروة من قومه) وقال الحافظ : زاد ابن مردويه من هذا الوجه : (ألم تر الى قول قوم شعيب : ولولا رهطك لرجمناك) .

سمى العشيرة ركناً لان الركن اليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم، واما قوله تعالى عن فرعون (فتولى بركنه) المراد : اما من معه لانهم قوته، او ناحيته وجانبه .

ماذا قصد لوط عليه السلام من قوله : (لو أن لي بكم ...)

١- قال النووي : قصده اظهار العذر عند اضيافه وانه لو استطاع دفع المكروه عنه بطريق ما لفعله، وانه بذلك وسعه في اكرامهم والمدافعة عنهم، ولم يكن ذلك اعراضاً منه عن الاعتماد على الله تعالى .

٢- ويجوز إن يكون نسي الالتجاء الى الله تعالة في حمايتهم .

٣- ويجوز إن يكون التجا فيما بينه وبين الله تعالى، واظهر للاضياف التألم وضيق الصدر .

أقول : لا عجب ولا غرابه في قول لوط عليه السلام، اذ لا يعارض قوله مسألة الاعتماد والتوكل، بل هو من قبيل الاخذ بالاسباب، والتعامل مع الواقع كما ينبغي، كما اننا ندرك من هنا اهمية النسب للداعية بأن يكون من نسب شريف معروف لا نسب وضيع، ولقد كان رسول الله ﷺ من أشرف بيوت العرب نسباً، من قريش من بني هاشم .

قوله : (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي) .

قال تعالى : ﴿**فلبث في السجن بضع سنين**﴾ والبضع في اللغة من ٣-٩، واختلف المفسرون في المدة التي لبثها يوسف عليه السلام على اقوال لا كبير فائدة في الترجيح لاحدها .

والداعي : هو رسول الملك الذي جاء ليخبر يوسف عليه السلام بالخروج من السجن .

والمراد إن يوسف عليه السلام لم يخرج مسارعاً مبادراً الى الراحة ومفارقة السجن الطويل، بل تثبت وتوقر وراسل الملك في كشف امره الذي سجن بسببه، قال تعالى : ﴿**فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن إن ربي بكيدهن عليم**﴾[1] .

فبين النبي ﷺ فضيلة يوسف في هذا وقوة نفسه في الخير وكمال صبره وحسن نظه، وقال النبي ﷺ ما قاله عن نفسه تواضعاً، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالاً، وهو من جنس قوله ﷺ (لا تفضلوني على يونس بن متى) .

---

(١) سورة يونس، اية ٥٠ .

الحديث الخامس

قال البخاري : حدثنا يحيى بن موسى، حدثنا عبد الرزاق، اخبرنا معمر عن ابن طاووس عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : (أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام، فلما جاءه صكه، فرجع الى ربه فقال : ارسلتني الى عبد لا يريد الموت، قال : ارجع اليه فقل له : يضع يده على متن ثور، فله بما غطى يده بكل شعرة مسنة، قال : أي رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت، قال : فالان، قال : فسأل الله إن يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر، قال ابو هريرة: فقال رسول الله ﷺ : لو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الاحم) قال (عبد الرزاق) واخبرنا معمر عن همام حدثنا ابو هريرة عن النبي ﷺ نحوه .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب الانبياء باب وفاة موسى وذكره بعد (٦/ ٥٠٨ حديث رقم ٣٤٠٧ فتح) ومسلم في كتاب الفضائل باب فضائل موسى عليه السلام (١٥/ ١٢٧ مسلم بشرح النووي)، واحمد في المسند ٢/ ٢٦٩ .

ترجمة رجال السند :

١- يحيى بن موسى : البلخي، لقبه، خت، اصله من الكوفة، ثقة، مات سنة ٢٤٠هـ .

٢- عبد الرزاق : بن همام بن نافع، ابو بكر الصنعاني، ثقة، حافظ، مصنف

عمي في اخر عمره فتغير ،مات سنة ٢١١هـ، وعمره ٨٥ سنة .

٣- معمر : سبقت ترجمته في الحديث الثالث .

٤- ابن طاووس : عبد الله بن طاووس بن كيسان اليماني، ابو محمد، ثقة، فاضل، عابد، مات سنة ١٣٢هـ .

٥- أبوه، طاووس بن كيسان اليماني، ابو عبد الرحمن، يقال : اسمه ذكوان وطاووس لقب، ثقة، فقيه، فاضل، مات سنة ١٠٦هـ .

٦- أبو هريرة، سبقت ترجمته في الحديث الرابع .

شرح الحديث :

قوله : (أرسل ملك الموت الى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه)

صكه : أي ضربه على عينه، وفي رواية لمسلم : (فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها) وفي اخرى لاحمد : (فلطمه ففقأ عينه) .

ويثار هنا سؤال : كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت ؟!

وهو هنا، اما إن يكون يعرفه، واما لا يعرفه، **فإن كان يعرفه فقد استخف به، وهذا لا ينبغي إن يكون بين نبي وملك** .

وللجواب على هذا التساؤل، نقول : فيه أقوال عدة :

١- لا يمتنع إن يكون موسى عليه السلام قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، والله سبحانه يفعل في خلقه ماشاء ويمتحنهم بما أراد .

٢- إن هذا على المجاز، والمراد إن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة، فيكون معنى (فقأ عينه) أي غلبه، وهو مردود لقوله ﷺ : (فرد الله عينه) .

٣- إن موسى عليه السلام لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها، فأدت المدافعة الى فقوء عينه، لا انه قصدها بالفقوء، فليس في الحديث تصريح بذلك، وهذا جواب ابي بكر بن خزيمة والمازري والقاضي عياض وغيرهم من المتقدمين .

هل يمكن لرسول إن يجهل معرفة الملائكة ؟!

نعم، قد يخفى على الرسول معرفة الملك، وقد تكرر ذلك اكثر من مرة، فالرسول عليه السلام لم يعرف جبريل ابتداءاً في غار حراء، وابراهيم عليه السلام لم يعرف الملائكة الذين حلوا عليه ضيوفاً في قصة هلاك قوم لوط، ولوط كذلك لم يعرفهم، فلا اشكال في ذلك .

٤- انما لطمه لانه رأى آدمياً دخل داره بغير اذنه، وقد اباح الشارع فقوء عين الناظر في دار المسلم بغير اذن، هذا ما ركب في موسى من الحدة والعصبية.

٥- انما لطمه لانه جاء لقبض روحه من قبل إن يخيره، لما ثبت انه لم يقبض نبي حتى يخير[1]، فلهذا لما اخبره ف المرة الثانية أذعن .

قال الحافظ : قيل : وهذا اولى الاقوال بالصواب وفيه نظر لانه يعود

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها ترفعه : ما من نبي يمرض الا خير بين الدنيا والاخرة) اخرجه البخاري في تفسير سورة النساء، حديث رقم ٤٥٨٦، فتح .

أصل السؤال فيقال : (لم اقدم ملك الموت على قبض نبي الله واخل بالشرط ؟ فيعود الجواب: إن ذلك وقع امتحاناً، أي عدم تخيير الملك لموسى عليه السلام امتحان لموسى عليه السلام، والله أعلم .

٦- قال ابن قتيبة : انما موسى العين التي هي تخييل وتمثيل، وليست عيناً حقيقية، ومعنى رد الله عينه : أي اعاده الى خلقته الحقيقية، وقيل : على ظاهره ورد الله الى ملك الموت عينه البشرية ليرجع الى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره، قال الحافظ : وهذا هو المعتمد .

٧- قال السندي في حاشية النسائي ٤/ ١٢٠ :

(كأن موسى ما علم اولاً انه جاءه بإذن الله بسبب اشتغاله بأمر من الامور المتعلقة بقلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام، فلما سمع منه اجب ربك[١] او نحوه، وصار ذلك قاطعاً له عما كان فيه، ولم ينتقل ذهنه بما استولى عليه من سلطان الاشتغال، انه جاءه بامر الله حركه نوع غضب وشدة حتى فعل ما فعل)[٢].

هذه الاراء السبعة التي اجيب بها على تساؤلنا، وفيها من التباين الواضح، لذلك لا بد من ترجيح اقربها واولادها بالصواب، لذا فارجح الاقوال والله أعلم: القول الثالث ويتفرع منه القول الرابع .

---

(١) هذا لفظ رواية مسلم من طريق معمرو عن همام بن منبه .

(٢) انظر فتح الباري ٦/ ٥١٠، ومسلم بشرح النووي ١٥/ ١٢٩، وسنن النسائي ٤/ ١٢٠ .

وان كان موسى عليه السلام لم يعرفه، فكيف لم يقتض له من فقء عينه) .

الجواب :

١- من قال بمشروعية القصاص بين الملائكة والبشر ؟

٢- ثم من قال : إن ملك الموت طلب القصاص من موسى عليه السلام فلم يقتض له ؟!

قوله : (لا يريد الموت) وفي رواية : فقال : يا رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه) .

قوله : (على متن ثور) أي ظهره، وفي رواية (على جلد ثور) .

قوله : (قال : فالان) الان : ظرف زمان، وهو اسم لزمان الحال الفاصل بين الماضي والمستقبل .

قوله : (فسأل الله إن يدنيه من الارض المقدسة رمية بجر) .

وفي رواية أخرى "رب أمتني بالأرض المقدسة رمية بحجر" .

لكن ما معنى هذا ؟!

١- قيل : معناه أي أدنني من مكاني الى الارض المقدسة هذا القدر، (أي قدر ما تبلغ رمية حجر).

٢- وقيل : أي ادنني اليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدر، وهذا هو الظاهر الراجح، لان الاول وان رجحه بعضهم فليس بجيد، اذ لو كان كذلك لطلب الدنو اكثر من ذلك .

٣- يحتمل إن يكون القدر الذي كان بينه وبين اول الارض المقدسة كان قدر رمية، فلذلك طلبها .

لكن لماذا لم يطلب دخلوها ؟!

الجواب :

١- ليحمي موضع قبره لئلا تعبده الجهال من ملته (حكاه ابن بطال) .

٢- كأن موسى عليه السلام لما لم يتهيأ له دخولها لغلبه الجبارين عليها، ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل اليها طلب القرب منها، لان ما قارب الشيء يعطى حكمه، وذلك لما تركهم في التيه أربعين سنة منعهم من دخول الارض المقدسة.

٣- انما طلب موسى الدنو لان النبي يدفن حيث يموت ولا ينقل، قال الحافظ وفيه نظر لان موسى قد نقل يوسف عليهما السلام معه لما خرج من مصر[١] والله أعلم .

٤- قال النووي[٢] : (وأما سؤاله الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضيلته من فيها من المدفونين من الانبياء وغيرهم) .

وقال الحافظ : واختلف في جواز نقل الميت من بلد الى بلد، فقيل : يكره لما فيه من تأخير دفنه وتعريضه لهتك حرمته، وقيل : يستحب، والاولى تنزيل ذلك على حالتين :

---

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٥١٠ .

(٢) مسلم بشرح النووي ١١/ ١٢٨ .

١- المنع حيث لم كين هناك غرض راجح كالدفن في البقاع الفاضلة وتختلف الكراهية في ذلك فقد تبلغ التحريم .

٢- الاستحباب حيث يكون ذلك بقرب مكان فاضل كما نص الشافعي على استحباب نقل الميت الى الارض الفاضلة كمكة وغيرها .

قوله : (ثم) أي هناك .

قوله : (تحت الكثيب الاحمر)

الكثيب : الرمل المجتمع المستطيل المحدوب .

وزعم ابن حبان إن قبر موسى بمدين بين المدينة وبيت المقدس، وتعقبه الضياء بان أرض مدين ليست قريبة من المدينة ولا من بيت المقدس، قال، وقد اشتهر عن قبر بأريحا عنده كثيب احمر انه قبر موسى عليه السلام .

وقال وهب بن منبه : عاش موسى مائة وعشرين سنة، والله اعلم .

فائدة :

استدل بقوله : فلك بكل شعرة سنة) على إن الذي بقي من الدنيا كثير جداً لان عدد الشعر الذي تواريه اليد قدر المدة التي بين موسى وبعثه نبياً ﷺ مرتين او اكثر .

هل تعني مراجعة الملك لموسى عليهما السلام امكانية زيادة عمره ؟!

الجواب : إن اجله كان قد قرب حضوره ولم يبق منه الا مقدار ما دار

بينه وبين ملك الموت من المراجعتين، فأمر بقبض روحه اولا مع سبق علم الله إن ذلك لا يقع الا بعد المراجعة، وان لم يطلع ملـك المـوت علـى ذلـك اولاً[1]، والله أعلم.

---

(١) الفتح ٦/ ٥١٠ – ٥١١ .

الحديث السادس

قال البخاري : حدثنا اسحاق، اخبرنا يعقوب بن ابراهيم، حدثنا ابي عـن صالح، عن ابن شهاب إن سعبد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

(والذي نفس بيده، ليوشكن إن ينـزل فـيكم ابـن مـريم عـدلاً، فيكـسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفـيض المـال، حتـى لا يقبلـه احـد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها، ثم يقول ابو هريرة :

واقرءوا إن شئتم ﴿**وان من أهل الكتـاب الا ليـؤمن بـه قبـل موتـه، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**﴾[1].

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب الانبياء باب نـزول عيـسى بـن مـريم عليهمـا السلام (فتح حديث رقم ٣٤٤٨، واخرجه في كتاب البيوع رقـم ٢٢٢٢، وفي كتاب المظالم حديث رقم ٢٤٧٦، ومسلم في كتـاب الايمـان بـاب بيـان نـزول عيـسى ابـن مـريم حاكمـاً بـشريعة نبينـا محمـداً ﷺ (٢/ ١٨٩ مـسلم بـشرح النـــووي)، واحمـــد في المـــسند ٢/ ٢٤٠، ٢٩٠، ٣٩٤، ٤٠٦، ٤١١، وغيرهم .

(١) سورة النساء، اية ١٥٩ .

ترجمة رجال السند :

١- اسحاق : بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي، ابو محمد بن راهوية المروزي، ثقة، حافظ، مجتهد ن قرين احمد بن حنبل، ذكر ابو داود انه تغير قبل موته بيسير، مات سنة ٣٢٨هـ، وعمره ٧٢ سنة .

٢- يعقوب بن ابراهيم : بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ابو يوسف المدني، ثقة، فاضل، مات سنة ٢٠٨ هـ .

٣- أبوه ابراهم، ابو اسحاق المدني، ثقة، ثقة، حجة، تكلم فيه بلا قادح مات سنة ١٨٥هـ .

٤- صالح : بن ابراهم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ابو عبد الرحمن المدني، ثقة، مات قبل ١٢٧هـ في ولاية ابراهيم بن هاشم .

٥- ابن شهاب : هو الزهري، سبقت ترجمته في الحديث الرابع .

٦- سعيد بن المسيب : سبقت ترجمته في الحديث الرابع .

٧- أبو هريرة : سبقت ترجمته في الحديث الرابع .

هذا الحديث اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من طرق :

فأخرجه البخاري من طريق سفيان بن عيينه حدثنا الزهري به، واخرجه مسلم من طريق الليث عن ابن شهاب به، ومن طريق عبد بن حميد عن

يعقوب بن ابراهيم به، ومن طريق الليث عن سعيد ابن ابي سعيد عن عطاء بن ميناء عن ابي هريرة .

شرح الحديث :

قوله : (والذي نفسي بيده)

قسم، بمعنى والله، لان الذي نفس الرسول ﷺ ونفس غيره بيده، هو الله سبحانه وتعالى، وهو مبالغة في التأكيد، وهذه الصورة من القسم تتكرر كثيراً في حديث رسول الله ﷺ، ويجوز لاي انسان إن يقسم بهذه الصورة كما يقسم بصريح لفظ الجلالة (الله) واسمائه وصفاته، اما الحلف بغير الله واسمائه وصفاته فهو شرك، كالحلف بالملائكة، او الرسل، او بالكعبة، او بالاباء او الابناء وما شابه ذلك .

ويشعر قسم الرسول عليه السلام في اول الحديث بتاكيد حصول هذا الامر، وكان هناك من يشك في نزول عيسى عليه السلام والتشكيك به ،لذلك قال ابو هريرة في آخر الحديث، : (واقرءوا إن شئتم) فكأنه بهذا أيضاً يريد اعادة التأكيد مرة اخرى .

قوله : (ليوشكن)

أي ليقربن، فلا بد من ذلك سريعاً، وهذا بالنسبة الى عمر الزمان لا الى عمر الافراد .

قوله : (إن ينزل فيكم) أي في هذه الامة، وهو خطاب لبعض الامة ممن لا يدرك نزوله، وانما سيدرك نزوله اخر هذه الامة .

قوله : (عدلاً)

وفي رواية (حكماً مقسطاً) وفي اخرى (اماما مقسطاً) فالقسط بكسر القاف هو العدل[1]، والمعنى : انه ينزل حاكماً بهذه الشريعة لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الامة، اخرج الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل : (ينزل عيسى بن مريم مصدقاً بمحمد على ملته) .

قوله : فيكسر الصليب)

أي كسراً حقيقياً، فيبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه، وفي هذا دليل على تغيير المنكرات والات الباطل لمن قدر عليه ن وفي الحديث الذي اخرجه مسلم عن ابي سعيد الخدري يرفعه (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ..)، قال الحافظ : ولايخفى إن محل جواز كسر الصليب اذا كان مع المحاربين او الذمي اذا جاوز به الحد الذي عوهد عليه، فإذا لم يتجاوز وكسره مسلم كان معدياً، لانهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية).

قوله : (ويقتل الخنزير)

أي حقيقة، ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم اكله وانه نجس، لان الشيء المنتفع به لا يشرع اتلافه[2] .

وقال النووي : المختار من مذهبنا ومذهب الجمهور انا اذا وجدنا الخنزير في دار الكفر او غيرها وتمكنا من قتله قتلناه .

---

(١) وقسط يقسط قسطاً بفتح القاف فهو قاسط أي جائر .

(٢) الفتح ٦/ ٥٦٧ .

قوله : (ويضع الحرب)

وفي اكثر من رواية (الجزية)، وفي معناه اقوال :

١- إن الدين يصير واحداً فلا يبقلا احد من اهل الذمة يؤدي الجزية .

٢- إن المال يكثر حتى لايبقى من يمكن صرف مال الجزية له فتترك الجزية استغناء عنها .

٣- إن عيسى علهي السالام لا يقبلها ولا يقبل من الكفار الا الاسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل الا الاسلام او القتل)، قاله النووي نقلاً عن ابي سليمان الخطابي وغيره .

٤- قال القاضي عياض : المراد بوضع الجزية هو ضربها وتقريرها على جميع الكفة دون تفريق لانه لا يقاتله احد فتضع الحرب اوزارها، وانقياد جميع الناس له اما بالاسلام اما بالقاء يد، فيضع عليه الجزية ويضربها .

وتعقبه النووي قائلاً : (هذا الكلام ليس بمقبول، والصواب إن عيسى لا يقبل الا الاسلام) ويؤيده ما اخرجه احمد من وجه اخر عن ابي هريرة (وتكون الدعوى واحدة).

وقال النووي : قد يقال : هذا خلاف حكم الشرع اليوم ،فإن الكتابي اذا بذلك الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا اكراهه على الاسلام، **وجوابه**: إن هذا الحكم ليس بمستمر الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام، وقد اخبرنا النبي ﷺ في هذه الاحاديث الصحيحة بنسخة، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا ﷺ، هو المبين للنسخ فإن عيسى يحكم بشرعنا فدل

على الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ[1] .

وقال الحافظ : قال ابن بطال[2] وانما قبلناها قبل نزول عيسى عليه السلام للحاجة الى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه الى المال، فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله احد، ويحتمل إن يقال : إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في ايديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصبرون كعبدة الاوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف امرهم مناسب إن يعاملوا معاملتهم في عدم الجزية منهم .

قوله : (ويفيض المال حتى لا يقبله احد)

أي يكثر المال، وتنزل البركات، وتكثر الخيرات، بسبب العدل وعدم التظالم، وحينئذ تخرج الارض كنوزها، وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة .

وفي رواية عطاء بن ميناء عن مسلم : (ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون الى المال لا يقبله احد) .

القلاص : هي من الابل كالفتاة من النساء، ومعناه : إن يزهد فيها ولا

---

(١) مسلم بشرح النووي ٢/ ١٩٠ .

(٢) هو ابو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، امام حافظ، عني بالحديث اصله من قرطبة، له شرح على البخاري، توفي سنة ٤٤٤ هـ (التاج المكلل، لابي الطيب الفنوجي، ص ٢٩٦ .

يرغب في اقتنائها لكثرة الاموال وقلة الامال وعدم الحاجة ن ومعنى لا يسعى عليها : أي لا يعتني بها اهلها لزهدهم فيها .

واخرج مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل قال فيه :

(ثم يقال للارض انبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس) .

الرسل : بكسر الراء : هو اللبن او الماشية التي ترسل للمرعى .

اللقحة : واللقوح : هي ذات اللبن وجمعها اللقاح .

الفئام : هي الجماعة الكثيرة .

قوله : (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)

أي إن الناس يرغبون عن الدنيا ويزهدون فيها حتى تكون السجدة الواحدة احب اليهم من الدنيا وما فيها من متاع ومال واشياء .

وقيل : أي انهم حينئذ لا يتقربون الى الله الا بالعبادة، لا بالتصدق بالمال، وذلك لان اجر السجدة خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذ وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة اليه للنفقة في الجهاد .

والسجدة : هي السجدة بعينها، او هي عبارة عن الصلاة، او الركعة .

قوله : (ثم يقول ابو هريرة : واقرءوا إن شئتم : وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته).

الظاهر انه معلق، وهو موصول بالاسناد المذكور نفسه، وقد اختلف اهل

التأويل في معنى هذه الاية على أقوال، سببها الضمير في قوله تعالى : (قبل موته) .

١- قالت طائفة : الضمير يعود على عيسى عليه السلام الا من امن به وعلم انه عبد الله وابن امته، وعلى هذا يكونه الضمير في قوله تعالى : (به) عائداً الى عيسى عليه السلام ايضاً .

قال بهذا القول : ابن عباس، والحسن البصري، وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم، ورجحه الطبري في تفسيره، وكذا ابن كثير وقال : ولا شك إن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لانه المقصود من سياق الاي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله انه لم يكن الامر كذلك وانما شبه لهم، فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم انه رفعه اليه، وانه باق حي، وانه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الاحاديث المتواترة، (تفسير ابن كثير ١/ ٦٣٧) .

٢- وقال اخرون : الضمير يعود على الكتابي، ومعناه، وما من اهل الكتاب احد يحضره الموت الا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى عليه السلام وانه عبد الله وابن امته، واستدلوا لذلك بقراءة ابي بن كعب (الا ليؤمنن به قبل موتهم) .

وبه قال مجاهد ورواية عن ابن عباس، وعكرمة ومحمد بن سيرين والحضاك وجويبر، ذكرها ابن جرير في تفسيره، ورجحه النووي قائلاً : ولكن لا ينفعه هذا الايمان لانه في حضرة الموت وحالة النزع وتلك الحالة لا حكم لما يفعل او يقال فيها فلا يصح فيها اسلام ولا كفر ولا وصية ولا بيع ولا عتق

ولا غير ذلك من الاقوال، لقول الله تعالى : ﴿**وليست التوبة للذين يحملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال : اني تبت الان** ﴾.

ثم قال النووي : وهذا المذهب اظهر فان الاول يخص الكتابي الذي يدرك نزول عيسى وظاهر القرآن عمومة لكل كتابي في زمن عيسى وقبل نزوله .

٣- وقال اخرون :الضمير في قوله تعالى : (به) يعود الله تعالى او لمحمد ﷺ وفي قوله (موته) يعود للكتابي على القولين، وقيل على عيسى، والله اعلم .

أقول : وقد وردت اشارات في القرآن الكريم تشعر بنزول عيسى عليه السلام وانه سيكون علامة من علامات الساعة الكبرى .

ومن ذلك قوله تعالى : (**ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين**)[1] ولقد كلم الناس في المهد كما قال تعالى على لسانه (**اني عبد الله**)

واما كهلاً فلم يحصل ذلك بعد، اذ رفع الى السماء قبل إن يصل الى سن الكهولة، قال القرطبي[2] : قال النحاس : الكهل عند اهل اللغة من ناهز الاربعين، وقال الاخفش : يقال له حدث الى ست عشرة سنة، ثم شاب الى اثنتين وثلاثين، ثم يكتهل في ثلاث وثلاثين .

---

(١) سورة آل عمران، اية ٤٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٤/ ٩١ .

وقال القرطبي : واما كلامه وهو كهل فإذا انزله الله تعالى من السماء انزله على صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو الكهل فيقول لهم : ﴿**اني عبد الله**﴾ كما قال في المهد .

وقوله تعالى : ﴿**وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم**﴾[1] .

قال ابن كثير[2] : قال ابن عباس : هو خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة أقول : المراد نزوله من السماء وانه علامة دالة على قرب الساعة، وقرأ ابن عباس وابو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك (وانه لعلم للساعة) بفتح العين واللام، أي أمارة .

وقد وردت احاديث كثيرة صريحة في نزول عيسى عليه السلام في الصحيحين وغيرهما من هذه الاحاديث :

١- أخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه : (كيف بكم اذا نزل فيكم المسيح بن مريم وامامكم منكم[3] .

٢- واخرج مسلم من حديث جابر بن عبد الله يرفعه : (لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم

---

(١) سورة الزخرف، اية ٦١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٩ .

(٣) اخرجه في كتاب الانبياء (فتح حديث رقم ٣٤٤٩)، واخرجه مسلم في الايمان ٢/ ١٩٣ .

عليه السلام فيقول اميرهم : تعال صل لنا، فيقول : لا إن بعضكم على بعض امراء تكرمه الله هذه الامة[1] .

٣- واخرج الامام احمد وابو داود وابن جرير الطبري من حديث ابي هريرة يرفعه وقال فيه : (وانه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع الى الحمرة والبياض ...) واسناده صحيح .

٤- واخرج مسلم ايضاً من حديث ابي هريرة يرفعه : (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق وذكر حديثاً قال فيه فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، اذ اقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء).

فهذه الاحاديث وعشرات اخرى غيرها دالة دلالة واضحة على نزول عيسى عليه السلام وفي آخر الزمان، فلا حجة لمن انكر ذلك متأولاً كل هذه الاحاديث تأويلاً لا يستقيم ولغة العرب، وما عليه سلف هذه الامة من الاعتقاد بنزول عيسى عليه السلام[2] .

---

(١) اخرجه مسلم ف كتاب الايمان باب بيان نزول عيسى بن مريم ٢/ ١٩٢ .

(٢) افرد الشوكاني رسالة سماها (اللتوضيح في تواتر ما جاء في الاحاديث، في المهدي والدجال والمسيح) وعد فيها تسعة وعشرين حديثاً في نزول عيسى عليه السلام، ثم قال : متواترة، وكذا في المهدي والدجال .



الوحدة الثالثة

دراسة ثلاثة احاديث من كتاب الجهاد من صحيح البخاري / شرح فتح الباري، وهي :

١- حديث ابي هريرة : (لولا إن رجالاً من المؤمنين لا تطيب ...)

٢- حديث ابي هريرة : (الشهداء خمسة ...)

٣- حديث ابو هريرة : (إن النار لا يعذب بها الا الله ...)

المطلوب من صحيح مسلم بشرح النووي دراسة ذاتية :

كتاب الاقضية :

ويأتي في الجزء الثاني عشر ص ٢ – ١٩ .



الحديث السابع

قال البخاري : حدثنا ابو اليمان، اخبرنا شعيب عن الزهري، اخبرني سعيد بن المسيب إن ابا هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (والذي نفسي بيده، لولا إن رجالاً من المؤمنين لا تطيب انفسهم إن يتخلفوا عني ولا اجد ما احملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله ن والذي نفسي بيده لوددت اني اقتل في سبيل الله لم احيا، ثم اقتل ثم احيا، لم اقتل ثم احيا، ثم اقتل) .

تخريج الحديث

اخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب تمني الشهادة (فتح رقم ٢٧٩٧) من هذا الطريق، ومن طريق ابي صالح عن ابي هريرة نحوه برقم ٢٩٧٢، ومن طريق الاعرج عن ابي هريرة برقم ٣١٢٣ ورقم ٧٢٢٧، ومن طريق ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن ابي هريرة برقم ٣٦، واخرجه مسلم من طريق همام بن منبه عن ابي هريرة في الامارة باب فضيلة الجها والخروج في سبيل الله (مسلم بشرح النووي ١٣/ ٢١-٢٢)، ومن طريق الاعرج وابي زرعة ايضاً، واخرجه احمد ٢/ ٣١٣ .

فنلاحظ إن هذا الحديث رواه جماعة من التابعين عن ابي هريرة بالفاظ متقاربة، مع بعض الزيادات التي لا تخلو من فائدة تذكر في مكانها إن شاء الله .

ترجمة رجال السند :

١- ابو اليمان : الحمصي، هو الحكم بن نافع البهراني، مشهور بكنيته، ثقة،

ثبت، يقال : إن اكثر حديثه عن شعيب مناولة[1] مات سنة ٢٢٢هـ .

٢- شعيب : بن ابي حمزة الاموي، واسم ابيه دينار، ابو بشر الحمصي ثقة عابد، قال إبن معين : من اثبت الناس في الزهري، مات سنة ١٦٢هـ .

٣- الزهري، وسعيد بن المسيب وابو هريرة : سبقت ترجمتهم في الحديث الرابع.

شرح الحديث :

قوله : (والذي نفسي بيده)

سبق الكلام حولها في الحديث السابق .

قوله : (لولا إن رجالاً من المؤمنين لا تطيب انفسهم إن يتخلفوا عني)

لولا : اداة امتناع لوجود، وجوابها : ما تخلفت، وفي رواية ابي زرعة وابي صالح (لولا إن اشق على امتي) وفياخرى (لولا إن يشق على المسلمين وفي اخرى (لولا إن اشق على المؤمنين) وفي اخرى (لولا إن رجالاً يكرهون إن يتخلفوا بعدي) والمشقة مفسرة في الحديث وهي : إن نفوسهم لا تطيب

(١) المناولة هي : إن يعطي الشيخ تلميذه كتاباً او حديثاً مكتوباً ليقوم بأدائه وروايته عنه وهي على صور :

أ- إن يناول الشيخ تلميذه الكتاب ويقول له : قد ملكتك اياه واجزتك بروايته فأروه عنهي .

ب- إن يقول الشيخ لتليمذه : خذ هذا الكتاب فانسخه وراجعه ثم رده اليّ .

ج- إن يأتي التلميذ شيخه بكتاب من سماع شيخه فيأخذه منه وينأمله ثم يقول له : ارو هذا عني (علوم الحديث، د. صبحي الصالح) .

بالتخلف ولا يقدرون على التأهيب لعجزهم عن الة السفر من مركوب وغيره.

قوله : (ولا اجد ما احملهم عليه)

وفي رواية : لكن لا اجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيعتبرني ولا تطيب انفسهم إن يقعدوا بعدي) وعند الطبراني من حديث ابي مالك الاشعري (ولو خرجت ما بقي احد في خير الا انطلق معي، وذلك يشق علي وعليهم) .

فالركوب اذاً متعذر وجوده عند النبي ﷺ، وعند اصحابه هؤلاء فلا يحب النبي ﷺ إن يوقعهم في حرج ومشقة، ولذلك يقول النووي : فيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم، وانه كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين، وانه اذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها، وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعي في زوال المكروه عنهم .

قوله : (ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله)

وفي رواية (ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله) وفي اخرى : (لاحببت إن لا أتخلف خلف سرية) .

ومعنى تغدو : أي تسير من أول النهار، والمقصود الروحة .

والسرية : لغة : المجموعة من الناس، من خمسة الا ثلاثمائة او اربعمائة .

وتطلق السرية على المجموعة من المسلمين الذين كان رسول الله ﷺ

يكلفهم بمهمات قتالية، او لها صلة بالقتال كاستطلاع اخبار الاعداء، وجمع المعلومات عنهم، واظهار هيبة المسلمين في نفوس المشركين، وغير ذلك من الاهداف .

والظاهر إن الرسول عليه السلام في هذا الحديث يعني السرية وما هو اعم منها ولذلك قال : (تغزو في سبيل الله) والله اعلم .

قوله : (والذي نفسي بيده لوددت)

وفي رواية (ولوددت إن أقتل) بحذف القسم، وهو مقدر لما اظهرته هذه الرواية فاللام القسم .

وفي رواية ابي زرعة عند مسلم (لوددت اني اغزو في سبيل الله فأقتل).

ماالحكمة من ايراد هذه الجملة عقب الاولى ؟!

قال الحافظ [1] : النكتة في ايراد هذه الجملة عقب تلك ارادة تسلية الخارجين في الجهاد عن مرافقته لهم، وكأنه قال : الوجه الذي يسيرون له فيه من الفضل ما أتمنى لاجله اني اقتل مرات، فمهما فاتكم من مرافقتي والقعود معي من الفضل يحصل لكم مثله او فوقه من فضل الجهاد، فراعى خواطر الجميع .

وقد خرج النبي ﷺ في بعض المغازي وتخلف عنه المشار اليهم وكان

---

(١) فتح الباري ٦/ ٢١ .

ذلك حيث رجحت مصلحة خروجه على مراعاة حالهم .

قوله : (اني اقتل في سبيل الله ثم احيا، ثم ..)

* كيف يتمنى النبي ﷺ القتل ن مع علمه بأنه لا يقتل ؟!

١- لعله تمنى ذلك قبل نزول اية : ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾[١]

وهو مردود، لان نزول الاية كان في اوائل مقدم النبي ﷺ المدينة[٢] وهذا الحديث صرح ابو هريرة بسماعه من الرسول ﷺ، وقد قدم المدينة في سنة سبع من الهجرة .

٢- تمني الخير والفضل لا يستلزم الوقوع، وقد ورد لذلك نظائر واشياء كثيرة من ذلك قول النبي ﷺ (وددنا إن موسى كان صبر) او (يرحم الله موسى لو كان صبر)[٣] وكان النبي ﷺ اراد المبالغة في بيان فضل الجهاد وتحريض المسلمين عليه .

٣- قال بعضهم : قوله (لوددت) مدرج من كلام ابي هريرة، وهو بعيد .

١- في الحديث ما كان عليه ﷺ من الشفقة على المسلمين، والرأفة بهم، وانه

---

(١) سورة المائدة، اية ٦٧ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٨٨-٩٠ (طبعة دار الخير)

(٣) اخرجه البخاري من حديث ابن عباس الطويل في قصة الخضر في احاديث الانبياء حديث رقم ٣٤٠١ .

كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين .

٢- وانه اذا تعارضت المصالح بدا بأهمها .

٣- وفيه مراعاة الرفق بالمسلمين والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم .

٤- وفيه فضيلة الغزو والشهادة .

٥- وفيه تمني الشهادة والخير، وتمني ما لايمكن في العادة من الخيرات .

٦- وفيه إن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين[١] .

---

(١) قال الحافظ ف الفتح ٢١/٦ : وفيه نظر، لان الخطاب انما يتوجه للقادر واما العاجز فمعذور، وقد قال سبحانه : (غيراولي الضرر) وادلة كون الجهاد فرض كفاية تؤخذ من غير هذا .

أقول : لا مانع إن يؤخذ هذا الحديث دليلاً على عدم الكفاية لان النبي ﷺ تخلف وهو قادر .

الحديث الثامن

قال البخاري : حدثنا عبد الله بن يوسف، اخبرنا مالك عن سمي عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال : (الشهداء خمسة : المطعون والمبطون والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله) .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب الاذان باب فضل التهجير الى الظهر (فتح ٢/ ١٦٣ رقم ٦٢٥-٦٥٤) وفي كتاب الجهاد والسير باب الشهادة سبع سوى القتل (فتح ٦/ ٥٠ رقم ٢٨٢٩) ومسلم في كتاب الامارة باب بيان الشهداء (مسلم بشرح النووي ١٣/ ٦٢) ومالك في صلاة الجماعة باب ما جاء في العتمة والصبح ١/ ١٣١ حديث رقم ٦، واحمد في المسند ٢/ ٣٢٥، ٥٣٣، والترمذي في الجنائز باب ما جاء في الشهداء من هم (تحفة الاخوذي ٤/ ١٧١ رقم ١٠٦٩ وقال : حديث حسن صحيح .

ترجمة رجال السند :

١- عبد الله بن يوسف ومالك : سبقت ترجمتها في الحديث الاول .

٢- سميّ : مولى ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هاشم المخزومي القرشي، مدني ثقة، مات سنة ١٣هـ بقديد (موضوع قرب مكة) وكان جميلاً.

٣- ابو صالح : السمان الزيات، اسمه ذكوان، مدني، ثقة، ثبت ـ كان يجلب الزيت الى الكوفة، مات سنة ١٠١هـ .

٤- أبو هريرة : سبقت ترجمته في الحديث الرابع

نلاحظ إن البخاري وغيره قد خرجوا هذا الحديث بهذا اللفظ والمتن، وخرجوه مرة بلفظ اخر هذا المتن وزيادة :

(بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له، فغفر له، وقال : الشهداء خمسة : المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله، وقال : لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول، ثم لم يجدوا الا إن يستهموا علهي لا ستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً).

في هذا المتن اذا ثلاثة احاديث متداخلة، يهمنا منها في هذا المقام حديث الشهداء .

* ونلاحظ ايضاً إن البخاري قد ترجم للباب بقوله : (الشهادة سبع سوى القتل) وذكر حديث ابي هريرة : الشهداء خمسة) .

فهذه الترجمة لفظ حديث جابر بن عتيك عند مالك، سيأتي ذكره

لكن لماذا ترجم البخاري به وذكر حديث الخمسة ؟!

الجواب من وجوه :

١- قال الاسماعيلي [١] : الترجمة مخالفة للحديث

(١) وهو احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس الجرجاني ابو بكر، شيخ الشافعية، وصاحب الصحيح، مات سنة ٣٧١ هـ .

٢- وقال ابن بطال[1] : لا تخرج هذه الترجمة من الحديث اصلاً، وهذا يدل على انه مات قبل إن يهذب كتابه .

وقال ابن المنير[2]: ظاهر كلام ابن بطال إن البخاري أراد إن يدخل حديث جابر بن عتيك فاعجلته المنية عن ذلك) .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه نظر .ثم اجاب ابن المنير بجواب اخر عن كلام ابن بطال قائلاً : ويحتمل إن يكون اراد التنبيه على إن الشهادة لا تنحصر في القتل بل لها اسباب اخرى، وتلك الاسباب اختلفت الاحاديث في عددها، ففي بعضها خمسة وفي بعضها سبعة، والذي وافق شرك البخاري الخمسة، فنبه بالترجمة على إن العدد الوارد ليس على معنى التحديد) .

٣- قال بعضهم : يحتمل إن يكون بعض الرواة – يعني رواة الخمسة – نسي الباقي، قال الحافظ : وهو احتمال بعيد .

احاديث اخرى في نفس الباب والموضوع :

١- عن جابر بن عتيك رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ جاء يعود عبد الله بن ثابت ... وذكر حديثاً طويلاً قال فيه : فقال رسول الله ﷺ : (وما تعدون الشهادة ؟ قالوا : القتل في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ : (الشهداء

(١) سبقت ترجمته في اثناء شرح الحديث السادس .

(٢) هو احمد بن محمد بن منصور الجذامي، قاضي الاسكندرية، العلامة، برع في الفقه وهلاصول والعربية والبلاغة، وصنف التصانيف، ولد سنة ٦٢٠هـ، وتوفي سنة ٦٨٤هـ .

سبعة سوى القتل في سبيل الله : (المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيد).

اخرجه مالك في الجنائز باب النهي عن البكاء على الميت ١/ ٢٣٣ رقم ٣٦، واحمد ٥/ ٤٤٦، وابو داود في الجنائز باب في فضل من مات في الطاعون (تهذيب السنن ٤/ ٢٨٢ رقم ٢٩٨٢، والنسائي في السنن ١/ ٢٦١ وابن ماجة في الجهاد باب ما يرجى فيه الشهادة رقم ٢٨٠٣، وابن حبان في الصحيح ١٦١٦ موارد) والحاكم في المستدرك ١/ ٣٥٢ وقال : صحيح الاسندا ووافقه الذهبي، وهو كما قالا .

٢- عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال : (الطاعون شهادة لكل مسلم) .

اخرجه البخاري في الجهاد ولاسير باب الشهادة سبع سوى القتل (فتح ٦/ ٥١ رقم ٢٨٣٠، ومسلم في الامارة باب بيان الشهداء (مسلم بشح النووي ١٣/ ٦٣-٦٤، واحمد ٣/ ١٥٠، ٢٢٠، ٢٢٣ .

٣-عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ (من فصل – خرج – في سبيل الله فمات او قتل فهو شهيد، او وقص فرسه او بعيره او لدغته هامة او مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وان له الجنة) .

حديث حسن اخرجه ابو داود ١/ ٣٩١، والبيهقي في السنن ٩/ ١٦٦ والحكم ٢/ ٧٨، وقال : صحيح الاسناد .

٤- عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : (القتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة والحرق شهادة، والفرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة) .

حديث حسن اخرجه الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد ٢/ ٣١٧، وله شاهد عند احمد قال عنه المنذري في الترغيب ٢/ ٢٠١: اسناده حسن .

٥- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : من قبل دون ماله فهو شهد) وفي رواية : من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد) .

اخرجه البخاري ٥/ ٩٣، ومسلم ١/ ٨٧، وابو داود ٢/ ٢٨٥، والنسائي ٢/ ١٧٣، والترمذي ٢/ ٣١٥، وصحح واللفظ الاول للشيخين، والثاني لهم .

وروي نحوه من حديث سعيد بن زيد باسناد صحيح اخرجه ابو داود ٢/ ٢٧٥ والترمذي ٢/ ٣١٦، وصححه ولفظه : (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون اهله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ن ومن قتل دون دمه فهو شهيد) .

٦- عن سويد بن مقرن رضي الله عنه عن النبي ﷺ : قال : (من قتل دون مظلمته فهو شهيد).

حديث صحيح اخرجه النسائي ٢/ ١٧٣، والضياء في المختارة، واخرجه احمد رقم ٢٧٨٠ من حديث ابن عباس .

٧- عن سلمان الفارسي رضي الله عنه يرفعه : (رباط يوم وليلة خير من

صيام شهر وقيامه، وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، واجري عليه رزقه وامن الفتان) زاد الطبراني (وبعث يوم القيامة شهيداً) .

أخرجه مسلم ٦/ ٥١، واحمد ٥/ ٤٤٠، ٤٤١، والنسائي ٢/ ٦٣، والحاكم ٢/ ٨٠ .

٨- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه يرفعه : (من صرع عن دابته فهو شهيد) .

قال الهيثمي في المجمع ٥/ ٣٠٤: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٩- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (من تردى من رؤوس الجبال وتأكله السباع ويغرق في البحار لشهيد عند الله) .

قال الهيثمي في المجمع ٥/ ٣٠٥ : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

١٠- عن ام حرام رضي الله عنها ترفعه : (المائد في البحر الذي يصيبه القيء له اجر شيهد، والغريق له اجر شهيدين) .

اخرجه ابو داود في الجهاد ٢/ ١٠ رقم ٢٤٩٣ واسناده صحيح .

هذه طائفة من أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة التي تبين انواع الشهداء وهناك غيرها الكثير لم اذكرها تجنباً للاطالة .

ومن خلال هذه الاحاديث نتبين إن النبي ﷺ لم يرد الحصر من قوله في حديث ابي هريرة الاول (الشهداء خمسة) او حديث الشهداء سبعة ولكن النبي ﷺ اعلم بالاقل ثم اعلم زيادة على ذلك فذكرها في وقت اخر .

ومن خلال هذه الاحاديث نتبين إن للشهادة اسباب وخصال كثيرة

نلخصها فيما يلي، ولكن واحدة دليل مضى :

١-القتل في سبيل الله، اثناء الجهاد .

٢- الموت في سبيل الله، ولو على فراشه، وهذه اوسع واعم من الاولى .

٣- الموت بمرض الطاعون، وهو ما عبر عنه ب(المطعون)

٤- الموت في مرض البطن، أي داء البطن وهو الاستسقاء وانتفاخ البطون وقيل : هو الاسهال، وقيل : الذي يشتكي بطنه فيموت بدائه مطلقاً .

٥- صاحب الهدم : أي الذي مات تحت بناء انهدم عليه ن وعند النسائي عن حديث عبد الله بن جب (والمغموم) يغني صاحب الهدم .

٦- من يموت غرقاً : أي في الماء .

٧- المرأة التي تموت بجمع : بضم الجيم وسكون الميم، وقد تفتح الجيم وتكسر ايضاً، بمعنى المجموع كالذخر بمعنى المذخور، وهي التي تموت ويموت ولدها في بطنها، أي ماتت مع جنين مجموع خلقه في رحمها .

٨- صاحب ذات الجنب : وهو ورم حاد يعرض في الغشاء المستبطن للاضلاع، وقال الحافظ : يقال هل : الشوصة .

٩- صاحب الحرق : أي من يموت محترقاً بالنار او ما شابه ذلك .

١٠- المتردي عن فرسه او بعيره او دابته فمات، ويقاس عليه من مات اليوم من على طائرته او دبابته او وسيلة نقله .

١١- من لدغته هامة – وهي حشرة سامة او عقرب او افعى فمات .

١٢- من اصابه مرض السل فمات، وهو مرض يصيب الانسان عادة في رئتيه نتيجة ضعف الغذاء او غيره .

١٣- من مات مدافعاً عن نفسه ودمه .

١٤- من مات مدافعاً عن اهله وعرضه .

١٥- من مات مدافعاً عن ماله .

١٦- من مات مدافعاً عن دينه ذاباً عنه منتصراً له .

١٧- من مات مدافعاً دون مظلمته .

١٨- من مات مرابطاً في سبيل الله على الثغور والحدود، او حراسة لجيش المسلمين، او مات وهو في اداء مهمة تتعلق بالرباط، وهكذا .

١٩- من اكلته السبع .

٢٠- المائد في البحر، وهو الذي يصيبه القيء فيه، فقد يموت وقد لا يموت فله اجر شهيد .

٢١- من طلب الشهادة بصدق ومات على فراشه .

هذا ما وقع لي جمعه من خلال ما صح من احاديث، وهناك روايات ضعيفة لم اذكرها كموت الغريب، وموت المرض عامة .

لماذا اعتبرت هذه الموتات شهادة ؟!

قال النووي : قال العلماء : وانما كانت هذه الموتات شهادة بتفضيل الله تعلى بسبب شدتها وكثرة المها .

وقال الحافظ : قال ابن التين : هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على امة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم وزيادة في اجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء .

ماالمراد بشهادة هؤلاء ؟!

قال النووي : قال العلماء : المراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله، انهم يكون لهم في الاخرة ثواب الشهداء، واما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم .

هل مرتبتهم واحدة ؟!

قال الحافظ في الفتح : والذي يظهر إن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء، ويدل عليه حديث عمرو بن عنبسة : إن النبي ﷺ سئل : أي الجهاد أفضل؟ قال: من عقر جواده واهريق دمه)[1] .

وقال النووي :

الشهداء ثلاثة اقسام :

١- شهيد في الدنيا والاخرة، وهو المقتول في حرب الكفار .

٢- شهيد في الاخرة دون احكام الدنيا وهم هؤلاء المذكورون هنا .

٣- شهيد في الدنيا دون الاخرة، وهو من غل في الغنيمة او قتل مدبراً فيطلق عليه شهيداً مجازاً .

---

(١) حديث صحيح، اخرجه ابن ماجة في سننه، واخرجه احمد وابن حبان في صحيحه من حديث جابر، والدارمي واحمد والصحاب من حديث عبد الله بن حبشي .

لماذا سمي الشهيد شهيداً ؟!

١- قيل : لانه حي فكأن ارواحهم شاهدة أي حاضرة .

٢- وقيل : لان الله وملائكته يشهدون له الجنة ٠

٣- وقيل : لانه يشهد عند خروج روحه ما عد له من الكرامة .

٤- وقيل : لانه يشهد له بالامان من النار .

٥- وقيل : لان علهي شاهداً بكونه شهيداً وهو الدم .

٦- وقيل : لانه لا يشهده عند موته الا ملائكة الرحمة .

٧- وقيل : لانه الذي يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل .

٨- وقيل : لان الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة .

٩- وقيل : لان الانبياء تشهد له بحسن الاتباع .

١٠- وقيل : لان الله يشهد له بحسن نيته واخلاصه .

١١- وقيل : لانه يشاهد الملائكة عن احتضاره .

١٢- وقيل : لانه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الاخرة .

١٣- وقيل : لان عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا[1] .

١٤- وقيل : لقيامه بشهادة الحق في امر الله تعالى حتى قتل[2].

---

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٥١، ومسلم بشرح النووي ١٣/ ٢٤ .

(٢) لسان العرب ٣/ ٢٤٢ .

قوله : (الشهداء خمسة ثم قال : والشهيد في سبيل الله)

قال الحافظ : يحتمل إن يكون المراد بالشهيد في سبيل الله : المقتول، فكأنه قال : والمقتول، فعبر عنه بالشهيد، ويؤيده قوله في رواية جابر بن عتيك : (الشهداء سبعة سوى القتيل في سبيل الله) ويجوز إن يكون الشهيد مكرراً في كل واحدة منها فيكون من التفصيل بعد الاجمال، والتقدير : الشهداء خمسة : الشهيد كذا والشهيد كذا الى اخره) .

بعض الاحاديث التي تبين فضل الشهيد :

١- (الشهيد لا يجد ألم القتل الا كما يجد احدكم مس الفرصة)، حديث صحيح اخرجه الطبراني في الاوسط من رواية ابو قتادة .

٢- (الشهيد لا يجد من القتل الا كما يجد احدكم القرصة يقرصها) حديث صحيح عن ابي هريرة، اخرجه النسائي واحمد والدارمي، واني ماجة وغيرهم .

٣- (الشهيد يشفع في سبعين من اهل بيته)، حديث صحيح عن ابي الدرداء اخرجه ابن حبان في صحيحه وابو داود .

٤- (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً)، حديث حسن عن ابن عباس اخرجه احمد والطبراني في الكبير والحاكم .

الحديث التاسع

قال البخاري : حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث عن بكير، عن سليمان بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : (بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال : إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار ثم قال رسول الله ﷺ حين اردنا الخروج : اني امرتكم إن تحرقوا فلانا وفلانا، وان النار لا يعذب بها الا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما) .

تخريج الحديث :

أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب لا يعذب بعذاب الله (فتح ٦/ ١٧٣ رقم ٣٠١٦)، واحمد في المسند ٢/ ٣٠٧، ٣٣٨، ٤٥٣، وابو داود في الجهاد باب في كراهية حرق العدو بالنار (مختصر السنن ٤/ ١٥ رقم ٢٥٥٧ والترمذي في السير باب ٢٠ حديث رقم ١٦١٩ وقال : حسن صحيح .

ترجمة رجال السند :

١- قتيبة بن سعيد : بن جميل بن طريف الثقفي، ابو رجاء البغلاني نسبة الى بغلان، بلدة بنواحي بلخ، ثقة، ثبت، مات سنة ٢٤٠هـ وعمره تسعون عاماً.

٢- الليث : سبقت ترجمته في الحديث الثاني .

٣- بكير : بن عبد الله بن الاشج ن مولى بني مخزوم، ابو عبد الله المدني، نزيل مصر، ثقة، من الخامسة، مات سنة ١٢٠هـ .

٤- سليمان بن يسار : الهلالي، المدني، مولى ميمونة، وقيل : ام سلمة، ثقة، فاضل، احد الفقهاء السبعة(١)، من كبار الثالثة، مات بعد ١٠٠هـ .

٥- ابو هريرة : سبق في الحديث الرابع .

ملاحظة على اسناد الحديث :

قال الحافظ : كذا في جميع الطرق عن الليث ليس بين سليمان بن يسار وابي هريرة فيه احد، وخالفهم محمد بن اسحاق فرواه في السيرة عن يزيد بن ابي حبيب عن بكير بن الاشج عن سليمان بن يسار عن ابي اسحاق الدوسي عن ابي هريرة به) . وكذا ذكره في الاصابة ٦/ ٢٧٩ وقال الترمذي : وقد ذكر محمد بن اسحاق بين سليمان بين ياسر وبين ابي هريرة رجلاً في هذا الحديث وحديث الليث بن سعد اشبه واصح .

أقول : لا سيما وان هذا المزيد بين سليمان وابي هريرة هو ابو اسحاق الدوسي مجهول كما قال الحافظ في الاصابة ٦/ ٢٧٩ .

وقال الحافظ في الفتح ٦/ ١٧٣ : فتكون رواية ابن اسحاق من المزيد في متصل الاسانيد[٢]، لان سليمان قد صح سماعه من ابي هريرة .

أقول : واخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد رقم ١٥١٠) عن يزيد بن

---

(١) الفقهادء السبعة هم : سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد وخارجة بن زيد، وابو بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، وسليمان بن يسار وعبيد الله بن عتبة بن مسعود، وهم فقهاء مدرسة اهل الحجاز .

(٢) هو ما في اسناده راو مخالف لمن هو اثبت منه بزيادة راو في سند متصل .

ابي جبيب عن ابي اسحاق الدوسي عن ابي هريرة به) .

ويزيد ثقة لكنه يرسل، وابو اسحاق مجهول، فهذا اسناد ضعيف، وكذا اخرجه الدارمي في السير باب في النهي عن التعذيب بعذاب الله ٢/ ٢٢٢ من طريق يزيد بن ابي حبيب عن بكير عن ابي اسحاق الدوسي عن ابي هريرة به هكذا ولم يذكر سليمان بن يسار .

لكن يشهد لهما ما اخرجه البخاري كما تقدم، وروايته هي المشهورة والاصح .

شرح الحديث :

قوله : (بعثنا رسول الله ﷺ في بعث)

البعث : أي الجيش او السرية .

وفي رواية ابن اسحاق (بعث رسول الله ﷺ سرية انا فيها) واما امير السرية فهو حمزة بن عمرو الاسلمي[1]، فقد اخرج ابو داود باسناد صحيح في كتاب الجهاد حديث رقم ٢٥٥٧ عنه : (إن رسول الله ﷺ امره على سرية قال : فخرجت فيها، وقال : إن وجدتم فلاناً فاحرقوه بالنار، فوليت فناداني فرجعت اليه، فقال ...)

هكذا بالافراد، فكأن هذا الرجل كان الاصل في ذلك والاخر كان تبعاً له، وسيأتي ذكر اسمائهما .

---

(١) أبو صالح المدني، صحاب جليل، مات سنة ٦١هـ، وعمره ٧١سنة .

قوله : (فقال : إن وجدتم فلانا وفلانا)

زاد الترمذي في روايته (رجلين من قريش) وسماهما ابن اسحاق في سيرته كما في الاصابة ٢٧٩/٦ : (... ثم قال لنا إن ظفرتم بهبار بن الاسود وبنافع بن قيس فحرقوهما بالنار ..)

وسبب ذلك إن ابو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ قد أرسلها الى المدينة، فتبعها هبار ورفيقه فنخسا بعيرها فاسقطت ومرضت من ذلك .

وقال الحافظ : وقد اخرجه سعيد بن منصور عن ابن عيينة عن ابن ابي نجيح (إن هبار بن الاسود اصاب زينب بنت رسول الله ﷺ بشيء وهي في خدرها فاسقطت فبعث رسول الله سرية فقال : إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب ثم اشعلوا فيه النار) ثم قال : (اني لاستحي من الله لا ينبغي لاحد إن يعذب بعذاب الله) .

فافرد هبار بالذكر لانه الاصل في ذلك والاخر كان تبعاً له .

وجزم ابن هشام في زوائد السيرة إن الاخر هو نافع بن عبد قيس كما ذكر اسحاق .

قوله : (ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج) .

وعند ابن اسحاق (حتى اذا كان من الغد بعث الينا فقال ...)، وعند ابي داود من رواية حمزة الاسلمي (فوليت فناداني فرجعت اليه) وفي رواية عمرو بن الحارث التي علقها البخاري ووصلها النسائي (فأتيناه نودعه حين اردنا الخروج) .

أقول : لا تعارض بين هذه الروايات ومفادها واحد .

قوله : (اني امرتكم إن تحرقوا فلانا، وان النار لا يعذب هبا الا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما)

هل قتلوهما ؟

الجواب : لا، اما هبار بن الاسود فقد عاش حتى اسلم امام رسول الله ﷺ وحسن اسلامه، وكان ذلك بعد الفتح .

فقد ذكره ابن الاثير في اسد الغابة ٤/ ٦٠٨، والحافظ في الاصابة ٦/ ٢٧٩ وذكراً من حديث سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده الاسود من باب رسول الله ﷺ منصرفة من الجعرانة[1] فاطلع هبار بن الاسول من باب رسول الله ﷺ ،فقالوا : يا رسول الله هبار بن الاسود، قال : قد رأيته، فأراد رجل من القوم إن يقوم اليه، فأشار النبي ﷺ اليه إن اجلس، فوقف هبار فقال : السلام عليك يا نبي الله، اشهد إن لا اله الا الله واشهد إن محمداً رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد، واردت اللحاق بالاعاجم، ثم ذكرت عائدتك وصلتك وفضلك وصفحك عمن جهل عليك، وكنا يا نبي الله اهل شرك فهدانا الله بك، وانقذنا من الهلك فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك عني، فاني مقر بسوء فعلي، معترف بذنبي، فقال رسول الله ﷺ : قد عفوت عنك، وقد احسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام والاسلام يجب ما قبله) .

هذا حال هبار اما رفيقه، فقال الحافظ في الفتح ٦/ ١٧٤: لم أقف

(١) منزل بين الطائف ومكة، وهو الى مكة أقرب .

على ذكره في الصحاب فلعله مات قبل إن يسلم .

اما قوله : (وان النار لا يعذب بها الا الله)

هو خبر بمعنى النهي، ووقعت الاشارة اليه في غير ما روايته : ففي رواية ابن اسحاق (ثم رأيت انه لا ينبغي إن يعذب بالنار الا الله) وفي رواية ابن لهيعة عند ابن ابي شيبة في التاريخ (وانه لا ينبغي إن ..) وفي حديث ابن مسعود عند أبي داود برقم ٢٥٥٩ في قصة حرق النمل : (انه لا ينبغي إن يعذب الا رب النار) وعند البخاري برقم ٣٠١٧ من حديث علي قول ابن عباس يرفعه : (لا تعذبوا بعذاب الله) فهذا صريح في النهي .

ما حكم التحريق بالنار ؟

اختلف السلف في ذلك على النحر التالي :

١- المجيزون : وعلى رأسهم علي وخالد بن الوليد وابو بكر الصديق رضي الله عنهم وبه قال سفيان الثوري والاوزاعي والشافعي، الا انه يستحب إن لا يرموا بالنار ما داموا يطاقون

وأدلة هؤلاء :

أ- سمل النبي ﷺ أعين العرنيين بالحديد المحمى.

ب- حرق ابو بكر البغاة من اهل الردة بالنار بحضرة الصحابة .

ج- حرق خالد بن الوليد بالنار ناساً من أهل الردة .

د- حرق علي قوماً[1] .

---

(١) اخرجه البخاري في الجهاد باب لا يعذب بعذاب الله رقم ٣٠١٧ .

هـ - قال في المغني ٨/ ٤٤٨ : وروى سعيد باسناده عن صفوان بن عمرو وجرير بن عثمان إن جنادة بن امية الازدي وعبد الله بن قيس الفزاري وغيرهما من ولاة البحرين ومن بعدهم كانوا يرمون العدو من الروم وغيرهم بالنار يحرقونهم، قال عبد الله بن قيس : لم يزل امر المسلمين على ذلك :

وقال الشافعي في الام ٤/ ٢٨٧ :

اذا كان في حصن المشركين نساء واطفال واسرى مسلمون فلا بأس بأن ينصب المنجنيق على الحصن دون البيوت التي فيها الساكن الا إن يلتحم المسلون قريباً من الحصن فلا بأس إن ترمى بيوته وجدرانه .. الى إن قال : والنفط والنار مثل المنجنيق وكذلك الماء والدخان) .

وقال ابن قدامة : واما عند العجز عنهم فجائز في قول اكثر اهل العلم .

و- قال الخطابي في معالم السنن ٤/ ١٥ : وقد أباح رسول الله ﷺ إن تضرم النار على الكفار في الحرب، وقال لاسامة : أغر على ابنى صباحاً وحرق)[1].

ز- اخرج البخاري في الفتن فتح ١٣/ ٢٩ رقم ٧٠٧٨ من حديث ابي بكرة وقال فيه : فلما كان يوم حرق ابن الحضرمي حين حرقه جارية بن قدامة) .

قال الحافظ : بعث علي جارية بن قدامة فحصر ابن الحضرمي في الدار

---

(١) اسناده ضعيف، اخرجه ابو داود في الجهاد باب في الحرق في بلاد العدو رقم ٢٦١٦، واحمد وابن ماجة، وفي اسناده صالح بن ابي الاخضر قال عنه الحافظ في التقريب ١/ ٣٥٨ : ضعيف يعتبر به .

وابني : قال ابو مسهر هي يبني، فلسطين .

التي نزل فيها ثم احرق الدار عليه ولعى من معه وكانوا سبعين رجلاً او أربعين.

ح- قال الحافظ : واكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على اهلها، قاله النووي والاوزاعي .

٢- المحرمون :

قال الحافظ في الفتح ٦/ ١٧٥ : وقال ابن المنير[١] وغيره : لا حجة فيما ذكر للجواز، لان قصة العرنيين كانت قصاصاً او منسوخة، وتجويز الصحابي معارض بمنع صحاب اخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة الى ذلك اذا تعين طريقاً للظفر بالعدو، ومنهم من قيده بأن لا يكون معهم نساء ولا صبيان، واما حديث الباب فظاهر النهي فيه التحلاريم، وهو نسخ لامره المتقدم سواء كان بوحي اليه او باجتهاد منه)

٣- وفريق كره ذلك، على رأسهم عمر وابن عباس رضي الله عنهما، وذلك على الاطلاق، سواء كان ذلك بسبب كفر او في حال مقاتلة او كان قصاصاً .

قال الخطابي : انما يكره اذا كان الكافر أسيراً قد ظفر به وحصل في الكف.

وقال ابن قدامة : واما العدو اذا قدر عليه فلا يجوز تحريقه بالنار .

أقول : وقولهم وسط بين القولين، وفيه اعتدال، وهو الاولى بالاتباع لا

---

(١) سبقت ترجمته في الحديث الثامن .

سيما في العصر الحديث الذي تستعمل فيه اسلحة متطورة شأنها خطير، تشوه وتحرق وتزرع العاهات الدائمة، والمتوارثة، فالشرع والقوانين الدولية تحرم استعمالها لما فيها من تعذيب للبشرية وافناء لها بصورة لا تتفق وتعاليم شرعنا الحنيف .

لكن اذا استعملها العدو وجب استعمالها عملاً بالمثل .

هل يجوز تحريق بيوت النمل او الدبور؟!

قال الخطابي في معالم السنن

٣/١٦ : تحريق بيوت الزنابير مكروه، واما النمل فالعذر فيه اقل وذلك إن ضرورة قد يمكن إن يزال من غير احراق) .

قال ذلك تعليقاً على حديث ابن مسعود الذي اخرجه ابو داود في الجهاد رقم ٢٥٥٩ وقال فيه : (ورأى النبي ﷺ قرية نمل قد حرقناها ،فقال : من حرق هذه ؟ قلنا : نحن، قال : انه لا ينبغي إن يعذب بالنار الا رب النار) .

ثم قال الخطابي :

والنمل على ضربين :

١- مؤذ ضرار، فدفع عاديته جائز .

٢- لا ضرر فيه، وهو الطوال الارجل، لا يجوز قتله .

ملخص ما في الحديث من فوائد :

١- فيه جواز الحكم بالشيء اجتهاداً ثم الرجوع عنه .

٢- وفيه استحباب ذكر الدليل عند الحكم لرفع الالباس .

٣- وفيه إن طول الزمان لا يرفع العقوبة عمن يستحقها .

٤- وفيه كراهية قتل مثل البرغوث بالنار .

٥- وفيه نسخ السنة بالسنة .

٦- وفيه مشروعية توديع المسافر لأكابر اهل بلده، وتوديع اصحابه له .

٧- وفيه جواز نسخ الحكم قبل العمل به، او قبل التمكن من العمل به .





الوحدة الرابعة

دراسة ثلاثة احاديث من كتاب الفتن من صحيح البخاري شرح فتح الباري، وهي :

١- حديث ابي هريرة : (يتقارب الزمان، وينقص العمل ...)

٢- حديث حذيفة بن اليمان : (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ...)

٣- حديث الدجال، وفيه روايات .

المطلوب من صحيح مسلم بشرح النووي دراسة ذاتية :

كتاب القدر :

ويأتي في الجزء السادس عشر ص ١٨٩- ٢١٥



الحديث العاشر

قال البخاري : حدثنا عياش بن الوليد، اخبرنا عبد الاعلي، حدثنا عن الزهي عن سعيد عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال :

(يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج قالوا : يا رسول اله، ايما هو ؟ قال : القتل القتل) .

وقال شعيب ويونس والليث وابن اخي الزهري عن الزهري عن حميد عن ابي هريرة عن النبي ﷺ .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب الفتن باب ظهور الفتن (فتح ١٣/ ١٦/ رقم ٧٠٦١) ومسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في اخر الزمان (مسلم بشرح النووي ١٦/ ٢٢٣)، واحمد في المسند ٢/ ٢٣٣، ٣١٣، ٥١٩، ٥٢٥، ٥٣٠، ٥٣٨، وغيرهم .

ترجمة رجال السند :

١- عياش بن الوليد : الرقام نسبة الى رقم الثياب ـ ابو الوليد، البصري، ثقة من العاشرة مات سنة ٢٢٦هـ .

٢- عبد الاعلى : بن عبد الاعلى، البصري السامي، ابو محمد، ثقة، من الثامنة، مات سنة ١٨٩هـ .

٣- معمر : سبقت ترجمته في الحديث الثالث .

٤- الزهري : سبقت ترجمته في الحديث الثاني .

٥- سعيد : هو ابن المسيب، سبقت ترجمته في الحديث الرابع .

٦- ابو هريرة : سبق في الحديث الرابع .

شرح الحديث :

قوله : (يتقارب الزمان)

ذكر اهل العلم في معنى تقارب الزمان طائفة من الاقوال :

١- قال الخطابي : هو من استلذاذ العيش، يريد انه يقع عند خروج المهدي ووقوع الامنة في الارض وغلبه العدل فيها فيستلذ العيش عند ذلك وتستقصر مدته، وما زال الناس يستقصرون مدة ايام الرخاء وان طالت، ويستطلعون مدة المكروه وان قصرت).

قال الحافظ : وتعقبه الكرماني بأنه لا يناسب اخواته من ظهور الفتن وكثرة الهرج وغيرها .

وانما احتاج الخطابي الى تأويله بما ذكر لانه لم يقع النقص في زمانه .

أقول : وقد ذكر الخطابي تاويله هذا للحديث الاخر عن ابي هريرة عند احمد وعن انس عن الترمذي واحمد، وهو حديث صحيح :

(لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة) .

٢- وقال بعضهم : معنى تقارب الزمان استواء الليل والنهار، وهذا مما قالوه في معنى حديث (اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) حديث صحيح اخرجه الشيخان من حديث ابي هريرة) .

وقال الداودي[1]: إن ساعات النهار تقصر قرب قيام الساعة وبقرب النهار من الليل) .

٣- وقيل : معناه قصر الاعمار بالنسبة الى كل طبقة فالطبقة الاخيرة اقصر اعماراً من الطبقة التي قبلها .

٤- وقيل : معناه تقارب احوال الناس في الشر والفساد والجهل، قاله الطحاوي، واحتج بأن الناس لا يتساوون في العلم والفهم [2] .

٥- قال ابن ابي جمرة : يحتمل إن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على وقع في حديث (لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر) وعلى هذا الفقصر يحتمل إن يكون حسياً، ويحتمل إن يكون معنوياً اما الحسي فلم يظهر بعد، ولعله من الامرو التي تكون قرب قيام الساعة، واما المعنوي فله مدة منذ ظهر يعرف ذلك اهل العلم الديني ومن له فطنة من اهل السبب الدنيوي فإنهم يجدون انفسهم لا يقدر احدهم إن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك ويشكون ذلك ولا يدرون العلة فيه، ولعل

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود (البوشنجي، جمال الاسلام، ابو الحسن، توفي سنة ٤٦٧هـ .

(٢) ونحوه قال ابن بطال : ومعناه تقارب احوال اهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور اهله) .

ذلك بسبب ما وقع من ضعف الايمان لظهور الامور المخالفة للشرع من عدة اوجه، والواقع إن البركة في الزمان وفي الرزق وفي النبت انما يكون من طريق قوة الايمان واتباع الامر واجتناب النهي) .

٦- قال البيضاوي : يحتمل إن يكون المراد بتقارب الزمان تسارع الدول الى الانقضاء والقرون الى الانقراض فيتقارب زمانهم وتتداني ايامهم .

٧- قال النووي في شرح مسلم ١٦/ ٢٢١ : أي يقرب من القيامة

٨- وقال الحافظ قال النووي تبعاً لعياض وغيره : المراد بقصره عدم البركة فيه وان اليوم مثلاً يصبر الانتفاع به بقدر الانتفاع بالساعة الواحدة .

قالوا : وهذ اظهر واكثر فائدة واوفق لبقية الاحاديث .

٩- لذلك قال الحافظ : والحق إن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة .

أقول : وما اختاره الحافظ هو الارجح من هذه الاقوال وان كانت لا تختلف وتتناقض، وظاهر الحديث يدل على ذلك .

قوله : (وينقص العمل) .

ورواية الاكثر (ينقص العلم)أو (يقبض العلم) او (يرفع العلم) فما معنى ينقص العمل ؟

١- يحتمل إن يكون بالنسبة لكل فرد، فان العامل اذا دهمته الخطوب الهته عن اوراده وعبادته .

٢- ويحتمل إن يراد به الخيانة في الامانات والصناعات .

٣- وقال ابن ابي جمرة : نقص العمل الحسي ينشأ عن نقص الـدين ضـرورة واما المعنوي فبحسب مـا يـدخل مـن الخلـل بـسبب سـوء المطعـم وقلـه المساعد على العمل، والنفس ميالة الى الراحلة ونحن الى جنسها، ولكثـرة شياطين الانس الذين هو اضر من شياطين الجن .

وما معنى نقص العلم ؟

فيه عدة اقوال :

١- قيل : المراد نقص علم كل عالم بأن يطرأ عليه النسيان مثلاً.

٢- وقيل : نقص العلم بموت اهله فكلما مـات عـالم في بلـد ولم يخلفـه غـيره نقص العلم من تلك البلد .

ومستندهم في ذلك جملة نصوص :

أولاً : عن عبد الله بن عمرو بن العـاص عـن الـنبي ﷺ قـال : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبضه بقبض العلماء، فإذا لم يبـق عـالم اتخـذ النـاس رؤسـاء جهـالاً فـسئلوا فـأفتوا بغـير علـم فـضلوا وأضلوا)[1] .

ثانياً : عن ابي هريرة رضي الله عنه يرفعـه (إن الله لا ينـزع العلـم مـنكم بعدما اعطاكموه انتزاعا، ولكن يقبض العلماء بعلمهم، ويبقى جهـال فيـسألون

(١) اخرجه البخاري في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم (١/ ٣٦)، وفي كتاب الاعتصام باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ١٣/ ٢٩٥ رقم ٧٠٣٧، ومسلم في العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل ١٦/ ٢٢٣ .

فيفتون ويضلون)[1].

ثالثاً : عن ابي امامة رضي الله عنه يرفعه (خـذوا العلـم قبـل إن يـذهب قالوا : وكيف يذهب العلـم يـا نـبي الله وفينـا كتـاب الله ؟ قـال : فغـضب، لا يغضبه الله ثم قال : ثكلتكم امهاتكم او لم تكن التوراتوالانجيل في بني اسـرائيل فلن يغنيا عنهم شيئاً، إن ذهاب العلـم إن يـذهب حملتـه، إن ذهـاب العلـم إن يذهب حملته)[2].

رابعاً : قال ابن عباس : هل تدرون مـا ذهـاب العلـم ؟ قلنـا : لا قـال : ذهاب العلماء[3]، ونحوه قال ابو الدرداء وحذيفة [4] .

ولذلك قال الحافظ[5] : إن بقاء الكتب بعد رفع العلـم بمـوت العلمـاء لا يغني من ليس بعالم شيئاً .

وقال عبادة بن الصامت : لو شئت لاخبرت بأول علم يرفع من النـاس : (الخشوع) قال ابن رجب[6] : وانما قال عبادة هذا لان العلم قسمان :

١- ما كان ثمرته في قلب الانسان، وهو العلم بـالله تعـالى وأسمائـه وصـفاته

---

(١) حديث حسن اخرجه الطبراني في الاوسط كما في مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ٢٠١ .

(٢) اخرجه الدرامي في المقدمة باب في ذهاب العلم ١/ ٧٧-٧٨، واسناده لا باس به، وله شواهد كما قال الحافظ في الفتح ١٣/ ٣٠٠ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) فتح الباري ١٣/ ٢٩٩ .

(٦) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٣، بتحقيقي .

وافعاله المقتضية لخشيته ومهابته واجلاله والخضوع له ومحبته ورجائه ودعائه والتوكل عليه ونحو ذلك فهذا هو العلم النافع .

٢- العلم الذي على اللسان وهو حجة الله لك او عليه، فأول ما يرفع العلم العلم النافع وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها ويبقى علم اللسان حجة فيتهاون به الناس فيذهب بذهاب حملته فلا يبقى الا القرآن في المصاحف وليس ثم من يعلم معانيه ولا حدوده، ولا احكامه، ثم يسري به في آخر الزمان فلا يبقى في المصاحف ولا في القلوب منه شيء بالكلية وبعد ذلك تقوم الساعة، كما قال ﷺ (لا تقوم الساعة الا على شرار الناس)[١] .

وقال الحافظ : ترتيب رفع العلم وقبضه في الواقع يكون كما يلي:

١- رفع العلم بقبض العلماء المجتهدين الاجتهاد المطلق ثم المقيد.

٢- اذا لم يبق مجتهد استووا في التقليد لكن ربما كان بعض المقلدين اقرب الى بلوغ درجة الاجتهاد المقيد من بعض، ولكن لغلبة الجهل يقدم اهل الجهل امثالهم، واليه الاشارة بقوله ﷺ : (اتخذ الناس رؤساء جهالاً) .

٣- ثم يجوز إن يقبض اهل تلك الصفة ولا يبقى الا المقلد الصرف وحينئذ يتصور خلو الزمان عن مجتهد حتى في بعض الابواب بل في بعض المسائل[٢]، ولكن يبقى من له نسبة الى العلم في الجملة .

---

(١) اخرجه مسلم من حديث ابن مسعود في الفتن باب قرب الساعة ١٨/ ٨٨ .

(٢) ولذلك قال الجمهور بجواز خلو الزمان عن مجتهد خلافاً لاكثر الحنابلة وبعض من غيرهم .

٤- ثم يزداد حينئذ غلبة الجهل وترئيس اهله، ثم يجوز إن يقبض اولئك حتى لا يبق منهم احد، وذلك جدير بأن يكون عند خروج الدجال او بعد موت عيسى عليه السلام، وحينئذ يتصور خلو الزمان عمن ينسب الى العلم اصلاً، ثم تهب الريح فتقبض كل مؤمن، وهناك يتحقق خلو الارض عن مسلم فضلاً عن عالم فضلاً عن مجتهد ويبقى شرار الناس، فعليهم تقوم الساعة .

قوله : (ويلقى الشح)

بضم الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، والشح : هو البخل، والمراد القاؤه في قلوب الناس على اختلاف احوالهم حتى :

* يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى .

* ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره .

* ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير .

وليس المراد وجود اصل الشح لانه لم يزل موجوداً .

ولذا قال ابن ابي جمرة : (يحتمل إن يكون القاء الشح عاماً في الاشخاص، والمحذور من ذلك ما يترتب عليه مفسدة .

* قال الحميدي : يحتمل إن يكون بفتح اللام وتشديد القاف أي : يتلقى ويتعلم ويتواصى به كما في قوله تعالى : (ولا يلقاها الا الصابرون) قال : والرواية بسكون اللام مخففا تفسد المعنى لان الالقاء بمعنى الترك، ولو ترك لم يكن موجوداً وكان مدحاً والحديث ينبئ بالذم).

وتعقبه الحافظ قائلاً : وليس المراد بالالقاء هنا إن الناس يلقونه، وانما المراد انـه يلقـى الـيهم أي يوقـع في قلـوبهم، ومنـه : ﴿**اني ألقـي الى كتـاب كريم**﴾ .

وقال القرطبي : يجوز إن يكون (يلفى) بتخفيف اللام والفـاء أي يـترك لاجل كثرة المال وافاضته حتى يهم ذا المال من يقبل صدقته فلا يجد، ولا يجـوز إن يكون بمعنى يوجد لانه ما زال موجوداً .

أقول : لكن لم تثبت رواية الفاء، فيبقى المعنى هو الاول .

قوله : (وتظهر الفتن)

أي تكثر وتشتهر ولا يعود امرها سراً، او مما يمكن كتمانه كما هو الحال في زماننا هذا الذي نعيش، حيث اصبحت الفـتن تقـع بيننـا كوقـع قطـر الـسماء، والله المستعان .

قوله : (ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله ايما هو ؟ قال : القتل القتل)

أيما : بتشديد الياء، والاصل : أي شيء هو، وفي رواية الاسماعيلي : ومـا هو وعند ابن ابي شيبة قالوا يا رسول الله وما الهرج ؟ وعند ابي داود من رواية عنبسة بن خالد : قيل يا رسول الله أيش هو ؟

والهرج : بفتح الهاء وسكون الراء، فسره النبي ﷺ بالقتل، وقد روي ذلـك في اكثر من رواية اخرجها البخاري بعد هذا الحديث عن ابي موسى الاشعري، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر، وفي بعض الروايات قال ابـو موسـى : والهرج القتل بلسان الحبشة .

وفي بعض طرق الحديث عند البخاري عن ابي هريرة : قيـل : يـا رسـول

الله وما الهرج ؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل .

فعلى هذا يكون ﷺ قد جمع بين الاشارة والنطق فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظ بعض .

وجاء تفسير ايام الهرج فيما اخرجه احمد والطبراني بسند حسن من حديث خالد بن الوليد : إن رجلاً قال له : يا أبا سلمان اتق الله، فان الفتني ظهرت، فقال : أما وابن الخطاب حي فلا، انما تكون بعده فينظر بعده فينظر الرجل فيفكر ه يجد مكاناً لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذي هو به من الفتنة والشر فلا يجد، فلتك الايام التي ذكر رسول الله ﷺ بين يدي الساعة ايام الهرج.

وفي رواية للطبراني عن ابن مسعود : القتل والكذب .

قال الحاف[1]: واصل الهرج في اللغة العربية : الاختلاط، يقال : هرج الناس، اختلطوا واختلفوا، وهرج القوم في الحديث اذا كثروا وخلطوا .

واستعمال العرب الهرج بمعنى القتل لا يمنع كونها لغة الحبشة وان ورد استعمالها في الاختلاط والاختلاف، لان استعمالها بلغة العرب بمعنى القتل على طريق المجاز[2]، لكون الاختلاط مع الاختلاف بفضي كثيراً الى القتل، وكثيراً ما يسمى الشيء باسم ما يؤول اليه، كحديث معقل بن يسار عند مسلم (العبادة في الهرج كهجرة اليّ) .

وقد ذكر في معنى الهرج معان تسعة :

١- شدة القتل ٢- كثرة القتل ٣- الاختلاط ٤- الفتنة في آخر

---

(١) الفتح ١٣/ ٢١ .

(٢) بينما بلسان الحبشة بطريق الحقيقة .

الزمان ٥- كثرة النكاح ٦- كثرة الكذب ٧- كثرة النوم ٨- ما يرى في النوم غير منضبط ٩- عدم الاتقان للشيء .

قوله : (وقال شعيب ويونس)

شعيب هو ابن ابي جمرة، واسم أبيه دينار، ابو بشر الحمصي، قال ابن معين : هو من اثبت الناس في الزهري .

ويونس هو ابن يزيد بن ابي النجاد الايلي، ثقة، الا إن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً .

والليث هو ابن سعد، وابن اخي الزهري هو محمد بن عبد الله بن مسلم ابن شهاب الزهري، وحميد هو ابن عبد الرحمن بن عوف .

ومراد البخاري من ذلك إن هؤلاء الاربعة خالفوا معمراً في قوله (عن الزهري عن سعيد) فجعلوا شيح الزهري حميداً الا سعيداص، وصنيعه هذا يقتضي إن الطريقين صحيحان، فإنه وصل طريق معمر هنا ـ أي في كتاب الفتن ـ ووصل طريق شعيب في كتاب الادب وكأنه رأى إن ذلك لا يقدح، لان الزهري صاحب حديث فيكون الحديث عنده عن شيخين .

وأما رواية يونس فوصلها مسلم من طريق ابن وهب عنه .

واما رواية الليث فوصلها الطبراني في الاوسط من رواية عبد الله بن صالح عنه .

وأما رواية ابن اخي الزهري فوصلها الطبراني في الاوسط من طريق صدقة بن خالد عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن اخي الزهري به .

الحديث الحادي عشر

قال البخاري : حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي انه سمع ابا ادريس الخولاني انه سمع حذيفة بن اليمان يقول : (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت اسأله عن الشر مخافة إن يدركني، فقلت : يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم دعاة على ابواب جهنم، من اجابهم اليها قذفوه فيها، قلت يا رسول الله صفهم لنا، قال : هم من جلدتنا، ويتكلمون بالسنتنا، قلت فما تأمرني إن ادركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وامامهم، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ولو إن تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك) .

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في كتاب الفتن باب كيف الامر اذا لم تكن جماعة (فتح الباري ١٣/ ٣٨، رقم ٧٠٤) ومسلم في كتاب الامارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتني (مسلم بشرح النووي (١٢/ ٢٣٦ – ٢٣٧) .

ترجمة رجال السند :

١- محمد بن المثنى : بن عبيد العنزي، ابو موسى البصري، المعروف بالزمن،

مشهور بكنيته وباسمه، ثقة، ثبت، من العاشرة وكان هـو وبنـدار فرسـي رهان، وماتا في سنة واحدة هو سنة ٢٥٢هـ .

٢- الوليد بن مسلم القرشي مولاهم، ابو العباس الدمشقي، ثقة، من الثامنـة لكنه يدلس، مات سنة ١٩٥هـ .

٣- ابن جابر : هو عبد الرحمن بن يزيد بن جـابر الازدي، ابـو عتبـة الـشامي الداراني، ثقة من السابعة مات سنة بضع وخمسين مائة .

٤- بسر بن عبيد الله الحـضرمي الـشامي، تـابعي، صـغير، ثقـة، حـافظ، مـن الرابعة .

٥- ابو ادريس الخولاني : اسمه عائذ بن عبد الله الخولاني، ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين، وسمع من كبار الصحابة، مات سنة٨٠هـ، كان عالم الـشام بعد ابي الدرداء .

٦- حذيفة بن اليمان : واسـم اليمـان : حـسيل، العبـسي، حليـف الانـصار صحابي جليل من السابقين، اعلمه الرسول ﷺ بم اكان وما يكـون الى إن تقوم الساعة وهو آمين سر الرسول عليه الـسلام، وابـوه صـحابي ايـضاً استشهد بأحد ومات حذيفة في اول خلافة علي سنة ٣٦هـ .

من لطائف هذا الاسناد : كله شـاميون الا شـيح البخـاري وحذيفـة واخرجـه البخاري ومسلم كلاهما بنفس الاسناد، وشيخهما واحد .

شرح الحديث :

قوله : (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير)

أي عـن الان وصـلاح الحـال، وأسـباب الاسـتقرار، ومـسائل الايـمان،

واجتناب الفواحش، وما الى ذلك، وهذا الحال الطبيعي إن يسأل الانسان عن مثل هذه الامور، لكن حذيفة رضي الله عنه كان يسأل عن عكس ذلك ويبدو انه كان محباً لسماع احاديث الفتن وروايتها ن فهذا ميوله وهذه رغبته .

قوله : (وكنت اساله عن الشر مخافة إن يدركني)

المراد بالشر: عكس الخير ن أي الفساد واتيان الفواحش، والفسق وعدم صلاح الحال ونحو ذلك، وكان يسأله عن ذلك خوف الوقوع فيه لان الانسان لا يأمن على نفسه الفتنة والضلال، ووقع في رواية ابن ابي شبيه : (وعرفت إن الخير لن يسبقني) .

قوله : (انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير)

يشير الى واقع الجاهلية قبل الاسلام وما كان فيه من كفر، وقتل بعضهم بعضاً، ونهب بعضهم بعضاً، واتيان الفواحش، وما شابه ذلك، ثم بين تبدل هذه الحياة بما جاء به الرسول ﷺ من الايمان والصلاح والهدى وسائر انواع الخير، وزاد مسلم في رواية ابو سلام عن حذيفة[1] (بخير فنحن فيه).

قوله : (فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال : نعم)

وفي رواية (فتنة) ووقع عند ابن ابي شيبة (فما العصمة منه ؟ قال :

---

(١) قال النووي في شرح مسلم ١٢/ ٢٣٧ : قال الدار قطني ن هذا عندي مرسل لان ابا سلام اسمه ممطور الاسود) لم يسمع حذيفة، وهو كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متصل بالطريق الاول، وانما اتى مسلم بهذا متابعة وقد قدمنا إن الحديث المرسل اذا روي عن طريق اخر متصلاً تبين به صحة المرسل وجاز الاحتجاج به، ويصير في المسالة حديثان صحيحان .

السيف، قال : فهل بعد السيف من تقية ؟ قال نعم هدنة) .

وقول النبي ﷺ : نعم، اشارة الى وقوع بعض الفتن، قال الحافظ : والمراد بالشر ما يقع من الفتن من بعد قتل عثمان رضي الله عنه وهلم جرا، او ما يترتب على ذلك من عقوبات الاخرة .

قوله : (وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن) .

قال النووي : قال القاضي : قيل : المراد بالخير بعد الشر ايام عمر بن عبد العزيز، وذلك لما كان يسود في ايام عهده من الصلاح والعدل وحب الخير والعمل به .

واما الدخن : بفتح الدال والخاء، قيل معناه :

١- الحقد والدغل، ومعناهما متقارب .

٢- فساد في القلب .

٣- قال ابو عبيد : اصله إن تكون في لون الدابة كدورة الى سواد .

٤- الدخان ن وهو اشارة الى كدر الحال .

٥- كل امر مكروه .

والمراد إن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً بل فيه كدر فلا تصفو القلوب بعضها لبعض ولا يزول خبثها، ولا ترجع الى ما كانت عليه من الصفاء، واما هذا الكدر والفساد وهو الدخن، فقد اوضحه في قوله : **(قلت: وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هديي)** .

وفي رواية مسلم (يستنون بغير سنتي ن ويهدون بغير هديي).

وفي رواية ابي سلام الاخرى عنده (يكون بعدي ائمة لا يهدون بهداي ولا يستنون بسنتي) .

والهدي : الهيئة والسيرة والطريقة وهي سنة الرسول ﷺ والمعنى : إن هؤلاء الذين يشكلون دخن الخير، دخنهم انه يتركون العمل بسنة الرسول ﷺ يتهاونون في المحافظة عليها والدعوى لها ن فهم بهذا استبدلوها بطرق ومنهاهج اخرى فاسدة وغير صالحة وبعيدة عن هدي رسولنا صلى الله عليه وسمل .

قوله : (تعرف منهم وتنكر)

أي يخلطون عملا معروفا واخر منكراً في حديث ام سلمة عند مسلم (فمن انكر بريء ومن كره سلم) وفي لفظ • فمن عرف بريء ومن انكر سلم ولكن من رضي وتابع) .

أي من كره ذلك المنكر فقد بريء من اثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع انكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه، وليبرا، هذا على اعتبار رواية من كره فقد بريء) اما رواية (فمن عرف بريء) فمعناها : فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق الى البراءة من اثمه وعقوبته بان يغيره بيده او بلسانه فان عجز فليكرهه بقلبه[1]) .

قال النووي : المراد من قوله (تعرف منهم وتنكر) الامراء بعد عهد عمر بن عبد العزير رحمة الله وقال الحافظ : (فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل، وفيهم من يدعو الى البدعة ويعمل بالجور) .

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٢/ ٢٤٣ .

قوله : (دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها)

دعاة : جمع داع ن أي الى غير الحق .

قال النووي : قال العلماء : هؤلاء من كان من الامراء يدعو الى بدعة او ضلال اخر كالخوارج واصحاب المحنة[1] .

وقوله : (على ابواب جهنم) اطلق علهيم ذلك باعتباره ما يؤول اليه حالهم كما يقال لمن امر بفعل محرم : وقف على شفير جهنم) .

فمن اطاع هؤلاء بما يأمرون به من شر وتابعهم فيه اصبح ماله وكان رفيقهم في جهنم، وهذا معنى قوله في حديث ام سلمة عند مسلم : (ولكن من رضي وتابع) .

قوله : (صفهم لنا)

أي حلهم وجلهم وانعتهم لنعرفهم ونكون على بينة من امرهم .

قوله : (هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا)

قال الحافظ :

١- أي من قومنا وم اهل لسانا وملتنا، وفيه اشارة الى انهم من العرب .

٢- وقال الداودي : أي من بني آدم .

٣- وقال القابسي : معناه انهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون .

---

(١) المراد باصحاب المحنة، هم الذين قالوا بخلق القرآن واوقعوا العذاب بمن خالفهم وكان ذلك في عهد المأمون ومن بعده .

وجلدة الشيء ظاهره، وهي في الاصل غشاء البدن، ويؤيد ارادة العرب : إن السمرة غلبة عليهم واللون انما يظهر الجلد .

ووقع لهم وصف اخر عند مسلم من رواية ابي الاسود (وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس) أي جسد .

وقد لخص الحافظ ما مر بقوله :

والظاهر إن المراد بالشر الاول ما اشار اليه من الفتن الاولى، وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية، وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الامراء كزياد في العراق، وخلاف من خالف عليه من الخوارج، وبالدعاة على ابواب جهنم من قام في طلب الملك من الخوارج وغيرهم، والى ذلك الاشارة بقوله (الزم جماعة المسلمين وامامهم) يعني ولو جار، ويوضح ذلك ما جاء في رواية ابي الاسود عند مسلم : (تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك واخذ مالك فاسمع واطع) .

وكان مثل ذلك كثيراً في امارة الحجاج ونحوه .

قوله : (تلزم جماعة المسلمين وامامهم) أي اميرهم، وفي رواية خالد بن سبيع عند الطبراني : (فان رايت خليفة فالزمه وان ضرب ظهرك فان لم يكن خليفة فالهرب) .

قال الحافظ : قال ابن بطال : فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على ائمة الجور، لانه وصف الطائفة الاخيرة بانهم ◦ دعاة على ابواب جهنم) ولم يقل فيهم (تعرف وتنكر) كما قال في الاولين، وهم لا يكونون كذلك الا وهم على غير حق، وامر مع ذلك بلزوم الجماعة) .

ما المراد بالجماعة في الحديث ؟

١- قال الطبري : الجماعة السواد الاعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن ابي مسعود انه وصى من سأله لما قتل عثمان : عليه بالجماعة فان الله لم يكن ليجمع امة محمد على ضلالة) فعنى بالجماعة اذاً الامة او السواد الاعظم .

٢- قال قوم : المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم .

٣- وقال قوم : المراد بهم اهل العلم لان الله جعلهم حجة على الخلق والنسا تبع لهم في امر الدين .

٤- ثم قال الطبري : والصواب إن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة)[١] .

أقول : وهؤلاء هم اهل السنة والجماعة وان تفرقوا في البلاد على اختلاف الوانهم واجناسهم ولغاتهم وبلادهم .

وبناء على ذلك فليس المراد من جماعة المسلمين في الحديث، جماعة من الجماعات الاسلامية الموجودة الان كجماعة الاخوان المسلمين، او جماعة التبليغ او السلفيين او غيرهم، فهؤلاء جزء من جماعة المسلمين عامة في الارض كلها .

ما حكم التزام جماعة المسلمين ؟!

قال الطبري : قال قوم : هو واجب لانه مامور به، والامر يفيد

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٤٠ – ٤١ .

الوجوب .

وقال النووي في ترجمة الباب : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن .

وهذا هو الحق، لان وقت الفتنة وحدوث الاضطرابات الامنية وخروج البغاة يفرض على المسلم ملازمة اهل الحق واميرهم، وقد اخرج مسلم من حديث ابي هريرة يرفعه (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية) أي انه مات في فوضى لا امام له حتى لو ظلم من اميره فلا يجوز له الخروج عن طاعته لحديث سلمة بن يزيد الجعفي عند مسلم وقد سأل رسول الله ﷺ : يا نبي الله ارأيت إن قامت علينا امراء يسالونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأجابه النبي ﷺ بعد الاعراض عنه ثلاث مرات : اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم) .

قوله : (فان لم يكن لهم ماعة ولا امام)

هذا على اعتبار اسوأ الاحتمالات، أي لم يكن للناس امير ،فافترق الناس احزاباً وفرقاً وطوائف وجماعات (كل حزب بم لديهم فرحون) .

قوله : (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو إن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك) :

أي لا تتبع احداً في الفرق واعتزل الجميع خوف الوقوع في الشر، ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه، وفي رواية عبد الرحمن بن قرط عند ابن ماجة : (فلأن تموت وانت عاض على جذل خير لك من إن تتبع احداً منهم)

والجذل : عود ينصب لتحتك به الابل .

وقوله : وانت على ذلك : أي ذلك العض، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا .

قال البيضاوي : المعنى اذا لم يكن في الارض خليفة فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض اصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة او المراد اللزوم كحديث (عضواً عليها بالنواجذ) .

فوائد اخرى في الحديث :

قال الحافظ : قال ابن ابي جمرة :

١- في الحديث حكمة الله في عباده كيف اقام كلاً منهم فيما شاء، ، فيجب الى اكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعلموا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سبباً في دفعه عمن اراد الله له النجاة .

٢- وفيه سعة الصدر النبي ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه .

٣- ويؤخذ منه إن كل من حبب اليه شيء فإنه يفوق فيه غيره .

٤- ويؤخذ منه إن من أدب التعليم إن يعلم التلميذ من أنواع ما يراه مائلاً اليه من العلوم المباحة فإنه اجدر إن يسرع الى تفهمه، والقيام به .

٥- يؤخذ منه ذم من جعل للدين اصلا خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعاً لذلك الاصل الذي ابتدعوه .

٦- وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع او وضيع .

الحديث الثاني عشر

قال البخاري : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال : النبي ﷺ : ما بعث نبي الا انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور، وان بين عينه مكتوب : كافر)

تخريج الحديث :

اخرجه البخاري في الفتن باب ذكر الدجال (فتح الباري ١٣/ ٩٧ رقم ٧١٣١ وفي التوحيد رقم ٧٤٠٨، ومسلم في الفتن باب ذكر الدجال (مسلم بشرح النووي ١٨/ ٥٩) وغيرهما .

ترجمة رجال السند :

١- سليمان بن حرب : الازدي، الواشحي ـ نسبة الى واشح بطن من الازد قاضي مكة، ثقة، امام ن حافظ، من التاسعة مات سنة ٢٢٤ وعمره ثمانون سنة .

٢- شعبة : بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم، ابو سطام الواسطي ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول : هو امير المؤمنين في الحديث، وهو اول من فتش بالعراق عن الرجال ن وذب عن السنة وكان عابداً، من السابعة مات سنة ١٦٠هـ.

٣- قتادة : بن دعامة بن قتادة السدوسي، ابو الحطاب البصري، ثقة ثبت،

وهو رأس الطبقة الرابعة، مات سنة بضع عشرة ومائة .

٤- أنس : بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمة عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة ٩٢هـ، وقد جاوز المائة .

شرح الحديث :

قوله : (ما بعث نبي الا انذر امته الاعور الكذاب)

وفي رواية معمر : (لقد انذره نوح قومه)

وفي حديث ابي عبيدة بن الجراح عند ابي داود والترمذي وحسنة (لم يكن نبي بعد نوح الا وقد انذر قومه الدجال) .

وفي حديث ابي عبيدة بن الجراح عند ابي داود والترمذي وحسنة (لم يكن نبي بعد نوح الا وقد انذر قومه الدجال)

وعند احمد من حديث ابن عمر (لقد انذره نوح امته والنبيون من بعده).

ما حكمة انذار نوح قومه الدجال مع إن الاحاديث ثبتت انه يخرج بعد امور وعلامات ذكرت ؟!

قال الحافظ : والجواب انه كان وقت خروجه اخفى على نوح ومن بعده فكأنهم انذروا به ولم يذكر لهم وقت خروجه فحذروا قومهم من فتنة، ويؤيده قوله ﷺ في حديث اخر (إن يخرج وانا فيكم فأنا حجيجة) فإنه محمول على إن ذلك كان قبل إن يتبين له وقت خروجه وعلاماته، فكان يجوز إن يخرج في حياته ﷺ، ثم بين له بعد ذلك حاله ووقت خروجه فأخبره به، فبذلك تجتمع الاخبار .

ما معنى الدجال ؟ ولماذا سمي الدجال دجالاً ؟

قال ابن منظور في لسان العرب[1] .

والداجل : المموه الكذاب، وبه سمي الدجال ن وهو المسيح الكذاب وانما دجله سحره وكذبه .

وقال القرطبي[2] : قال ابن دحية : قال العلماء :

الدجال في اللغة يطلق على عشرة وجوه :

١- الدجال الكذاب، قال الخليل وغيره : وانها دجلة بسكون الجيم، وفتحها كذبه ن لانه يدجل الحق بالباطل، وجمعه دجالون وجاجلة .

٢- الدجال مأخوذ من الدجل وهو طلاء البعير بالقطران ن سمي بذلك لانه يغطي الحق ويستره بسحره وكذبه كما يغطي الرجل جرب بعيره بالدجالة وهي القطران يهنأ به البعير، واسمه اذا فعل به ذلك المدجل، قاله الاصمعي .

٣- انما سمي بذلك لضربه نواحي الارض وقطعه لها، يقال دجل الرجل اذا فعل ذلك .

٤- انه من التغطية، لانه يغطي الارض بمجموعة، والدجل التغطية قال ابن دريد : كل شيء غطيته فقد دجلته ن ومنه سميت دجلة لانتشارها على الارض، وتغطيته ما فاضت عليه .

---

(١) لسان العرب، ١١/ ٢٣٦ – ٢٣٧ مادة دجل .

(٢) التذكرة ٢/ ٧٧٠ .

٥- سمي دجالاً لقطعه الارض اذ يطأ جميع البلاد الا مكة والمدينة وبيت المقدس، والدجالة الرفقة العظيمة (قال في اللسان : ورفقة دجالة : عظيمة تغطي الارض بكثرة اهلها .

٦- سمي دجالاً لانه يغر الناس بشره، كما يقال : لطخني فلان بشره .

٧- الدجال : المخرق .

٨- الدجال : المموّه : قاله ثعلب، ويثال : سيف مدجل اذا كان قد طلي بالذهب .

٩- الدجال : ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خزف او عود، سمي الدجال بذلك لانه يحسن الباطل .

١٠- الدجال : فرند السيف[١]، والفرند جوهر السيف وماؤه[٢] .

١١- وقال في اللسان ١١/ ٢٣٦ : وقيل : سمي بذلك لانه يدعي الربوبية، سمي بذلك لكذبه .

أقول : وهذه التفسيرات مجتمعة تنطبق على حال المسيح الدجال عموماً ويبدوا لي إن تسمية بالدجال لاظهر صفة فيه وهي الكذب والتمويه والتزيين .

قوله : (الا انه اعور وان ربكم ليس بأعور)

في أي عينيه العور ؟ اليمنى ام اليسرى ام كلتيهما ؟

أخرج البخاري من حديث ابن عمر رقم ٧١٢٣ يرفعه (اعور العين

---

(١) أي غمدة ووشيه .

(٢) وقال في اللسان ٣/ ٣٣٤ : والفرند : السيف نفسه

اليمنى كانها عنبة طافية) واخرجه مسلم كذلك .

واخرج مسلم من طريق اخر عن ابن عمر يرفعه (إن الله تعالة ليس بأعور وان المسيح الدجال اعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافئة) (مسلم بشرح النووي ١٨/ ٥٩) .

فطافئة : روبت بالهمز وبدون الهمز وكلاهما صحيح .

فالمهموزة : هي التي ذهب نورها .

وغير المهموز : هي الني نتأت وطفت مرتفعة وفيها ضوء ن أي بارزة وقال القاضي عياض : هي الناتئة نتوء حبة العنب من بين اخواتها .

وجاء في حديث اخر : (انه ممسوح العين، مطموسة وليست جحراء ولا ناتئة) وهذه صفة حبة العنب اذا سال ماؤها، هو يصحح رواية الهمز .

وجاء في احاديث اخرى صحيحة إن عينه اليسرى هو العوراء، فأخرج مسلم من حديث حذيفة يرفعه (الدجال اعور العين اليسرى ..) (مسلم بشرح النووي ١٨/ ٦١) .

واخرج احمد ٥/ ٢٢١، والطبراني في الكبير ٧/ ٨٤ رقم ٦٤٤٥ من حديث سفينة باسناد لا بأس به : (هو اعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة غليظة ...)

وعند ابن أبي شيبة من حديث الفلتان بن عاصم يرفعه (اما مسيح الضلالة فرجل اجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى ..).

وعند احمد من حديث ابي سعيد الخدري يرفعه (إن ربكم ليس بأعور

وانه أعور، عينه اليمنى عوراء جاحظة ولا تخفى كانها نخامة في حائط مجسس، وعينه اليسرى كانها كوكب دري ...)

وجاء عند الطبراني من حديث سمرة وعبد الله بن مغفل (اهور العين اليسرى)

وعند ابن ماجة من حديث ابي امامة يرفعه (اعور العين اليمنى كانها لم تخلف، وعينه الاخرى ممزوجة بالدم)

نلاحظ من خلال هذه النصوص : انه اعور العين اليمنى، وكذلك اليسرى، فما هو الصواب وكيف نجمع بين هذه النصوص ؟!

قال النووي[1] : قال القاضي عياض :

(يجمع بين الاحاديث وتصحح الروايات جميعاً بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز وهي العين اليمنى، وتكون الجاحظة، والتي كأنها كوكب، وكأنها نخاعة هي الطافية بغير الهمز، العين اليسرى، وهذا جمع بين الاحاديث والروايات في الطافئة الهمز وبتركه ـ واعو العين اليمنى واليسرى لان كل واجدة منهما عوراء، فان الاعور من كل شيء المعيب لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء احداهما بذهابها والاخرى بعيبها) قال النووي : وهذا كلام في نهاية من الحسن .

أقول : وذكر نحو هذا الحافظ ف الفتح ١٣/ ١٠٤ -١٠٥، والقرطبي،

(١) مسلم بشرح النووي ٢/ ٢٣٥ .

في التذكرة ٢/ ٧٧٦، والقاري في المرقاة ٥/ ١٩٢ .

هل الدجال حقيقة، ام خيال ؟ وهل يمكن تأويل امره الى غير ظاهره ؟

الدجال حقيقة، ام خيال ؟ وهل يمكن تأويل امره الى غير ظاهرة ؟

الدجال حقيقة، وهو شخص بعينه، وكل ما يأني به من مخاريق وامور اقدره الله عليها، صحيح ن ولا التفات الى من أبطل امره وانكره قديماً ولا حديثاً ومذهب اهل السنة خلاف ذلك .

قال النووي[1] : قال القاضي : احاديث الدجال حجة لمذهب اهل الحق في صحة وجوده، وانه شخص بعينه، ابتلى الله به عباده واقدره على اشياء من مقدورات الله تعالى، من احياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا إن تمطر فتمطر، والارض إن تنبت فتنبت ،فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل امره ويقتله عيسى عليه السلام، ويثبت الله الذين امنوا .

هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافاً لمن انكره، وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وغيرهم في انه صحيح الوجود، ولكن الذي يدعي مخارق وخيالات لا حقائق لها، وزعموا انه لو كان حقاً لم يوثق بمعجزات الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه .

وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له ن وانما يدعي الالهية وهو في نفس دعواه مكذب لها ن بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه، ونقص صورته، وعجزه عن ازالة العور الذي في عينيه، وعن

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٨/ ٥٨-٥٩ .

ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به الا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة ورغبة في سد الرمق، أو تقية وخوفاً من اذاه، لان فتنته عظيمة جداً تدهش العقول، وتحير الالباب مع سرعة مروره في الامر واما اهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه .

واثبت امره بعض الجهمية وغيرهم ولكن زعموا إن ما عنده مخاريق وحيل لا حقيقة لها .

ورد عليهم القرطبي قائلاً : وقولهم هذا قول معزول عن الحقائق لان ما اخبر به النبي ﷺ من تلك الامور حقائق، والعقل لا يحيل شيئاً منها فوجب ابقاؤها على حقائقها[1] .

وقال ابن العربي رحمه الله[2] .

شأن الدجال عظيم، والاحاديث الورادة فيه أعظم، ولقد انتهى الخذلان ممن لاتوفيق عنده الى إن يقول انه باطل لا تظهر على يديه اية في فتنة ولا تكون من جهته محنة) .

هل احاديث الدجال متواترة ؟

قال الشوكاني في رسالته المسماة بالتوضيح في تواتر ما جاء في الاحاديث في المهدي والدجال والمسيح : (والاحاديث الواردة ف الدجال متواترة)[3] .

---

(١) التذكرة ٢/ ٧٧٨ .

(٢) عارضة الاحوذي ٩/ ٧٩ .

(٣) وقد قمت بجمعها قديما في كتاب (جامع الاخبار والاقوال في المسيح الدجال) وبلغت اكثر من مائة حديث .

وذكر تواتر احاديث المهدي وعيسى عليهما السلام[1] .

اقول : وهذا تواتر معنوي لا لفظي .

وقال ابن كثير[2] : وقد انكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية وردوا الاحاديث الواردة فيه فلم يصنعوا شيئاً، وخرجوا بذلك عن حيز العلماء لردهم ما تواترت به الاخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ .

متى يخرج الدجال ؟

لا شك إن الدجال علامة من علامات الساعة الكبرى، يخرج في اخر الزمان كما اخرج مسلم من حديث حذيفة بن اسيد يرفعه (إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرف، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم) .

وخروجه تحديداص يكون بعد فتح المسلمين السطنطينية، ودليله ما اخرجه احمد وابو داود في الملاحم رقم ٤٢٩٤ من حديث معاذ بن جبل يرفعه (عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب المدينة المنورة خروج المللحمة وخروج المللحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال) .

---

(١) عون المعبود ١١/ ٤٥٨ .

(٢) النهاية في الفتن والملاحك ١/ ١٦٤ .

ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه او منكبه، ثم قال : إن هذا لحق كما أنك هاهنا، او كما انك قاعد، يعني معاذ بن جبل .

وروى الصعب بن جثامة عن رسول الله ﷺ : لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكهر، وحتى تترك الائمة ذكره على المنابر)[1] .

عن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ذكر جهداً يكون بين يدي الدجال ن فقالوا : أي المال خير يومئذ ...)[2] .

واما ما جاء إن الدجال يخرج بعد فتح القطنطينية بسبع سنين او سبعة اشهر، فكله ضعيف لا يصح .

وبالجملة فالنصوص الصحيحة تشير الى إن زمان خروجه يكون فيه فتن ومحن وضلال ودليل ذلك إن كثيراً من الناس يتبعونه والله أعلم .

من أين يخرج الدجال ؟

ورد في مكان خروجه عدو روايات نذكر ما صح منها :

* اخرج مسلم واحمد من حديث ابي هريرة يرفعه (يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمته المدينة، حتى ينزل دبر احد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يهلك) .

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٥ : رواه عبد الله بن احمد من رواية بقية عن صفوان بن عمرو وهي صحيحة كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات .

(٢) قال الهيثمي ٧/ ٣٣٥: رواه احمد وابو يعلى ورجاله رجال الصحيح، ورواه الحاكم بالفاظ مختلفة .

* واخرج الترمذي (رقم ٢٣٣٨) والحاكم ٤/ ٥٢٧ باسناد صحيح من حديث ابي بكر الصديق يرفعه (الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه اقوام كأن وجوههم المجان المطرقة) .

* وأخرج مسلم ضمن حديث النواس بن سمعان (انه خارج خله بين الشام والعراق) .

* عن ابي هريرة رضي الله عنه يرفعه (يخرج اعور الدجال مسيح الضلالة قبل المشرق في زمن اختلاف من الناس ..)[1] .

* واخرج مسلم من حديث انس بن مالك يرفعه (يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة) .

وهذه الرواية ليست صريحة في خروجه من اصبهان لكنها تشير الى ذلك .

أقول : جميع الروايات تؤكد انه يخرج من جهة المشرق قطعاً لكنها تتباين في تحديد نقطة خروجه، أمن خراسان ام أصبهان، ام من بين الشام والعراق (خلة) أي الطريق بينهما .

وقد حاول القرطبي الجمع بين هذه الروايات قائلاً :

(ووجه الجمع بين الروايات إن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية اصبهان ثم يخرج الى الحجاز فيما بين العراق والشام)[2] .

---

(١) قال الهيثمي ٧/ ٣٤٩ : رواه البزاز ورجاله، رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة .

(٢) التذكرة، ٢/ ٧٩٩ .

بعض صفات الدجال الخلقية :

* اخرج البخاري (رقم ٧١٢٨ من حديث ابن عمر يرفعه :

(فاذا رجل جسيم احمر جعد الرأس، اعور العين، كأن عينه عنبة طافية، قالوا : هذا الدجال، اقرب الناس به شبهاً ابن قطن رجل من خزاعة) .

* واخرج ابو داوود (رقم ٤٣٢٠) من حديث عبادة بن الصامت باسناد صحيح يرفعه (اني قد حدثتكم عن الدجال، حتى خشيت إن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصي افحج، جعد أعور ...) .

* واخرج احمد ٤/ ٢٠ من حديث هشام بن عامر باسناد صحيح يرفعه : إن رأس الدجال من ورائه حبك حبك ...)

من خلال هذه الاحاديث الصحيحة نتبين إن للدجال صفات بينة نلخصها فيما يلي :

١- عظيم الجسم[(١)] .

٢- آدم البشرة او احمرها .

٣- جعد الرأس، أي شعره قطط .

٤- قصير (ولا تنافي عظمة الجسم) .

٥- افحج (وهو الذي اذا مشى باعد بين رجليه).

---

(١) وقد جاءت هذه الصفة في حديث تميم الداري في قصة الجساسة عند مسلم : حتى دخلنا الدير فإذا فيه اعظم انسان رأيناه قط خلقاً .

٦- أعور العينين، يرى في احداهما ولا يرى في الاخرى .

٧- شعره من وراء رأسه حبك حبك أي ملفوف الشعر .

٨- مكتوب بين عينيه كافر كما سيأتي بيانه .

وهذا ما صح من صفاته، وهناك صفات اخرى ذكرت في احاديث لم تصح .

حديث جامع في فتنة الدجال :

عن النواس بن سمعان الكلابي قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال، ما شأنكم ؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال : غير الدجال اخوفني عليكم إن يخرج وانا فيكم فإنا حجيجه دونكم، وان يخرج ولست فيكم فأمروه حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، انه شاب قطط عينه طافئة كأني اشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أردكه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، انه خارج خلة بين الشام والعرقا، فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فأثبتوا، قلنا يا رسول الله وما لبثه ف الارض ؟ قال : أربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر ايامه كأيامكم، قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا اقدروا له قدره، قلنا :يا رسول الله : وما اسراعه في الارض ؟ قال كالغيث استدرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستيجيبوا له فيأمر السماء فتمطر، والارض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعاً، وامده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين

ليس بأيديهم شيء من اموالهم ويمر الخربة فيقول لها : اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعوا رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قط واذا رفعه تحدر ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب له فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو فحرز عبادي الى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من حدب ينسلون فيمر اولهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر اخرهم فيقولون : لقد كان مرة بهذه ماء، ويحصر نبي الله عيسى واصحابه، حتى يكون رأس فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض، فلا يجدون في الارض موضوع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب فتطرحن حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من لابل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك ن اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت اباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون

فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة)[1].

ما الحكمة من عدم ذكر الدجال صراحة في القرآن الكريم ؟

والجواب من وجوه :

١- انه قد اشير الى ذكره في قوله تعالى : ﴿**يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً**﴾[2].

فقد اخرج الترمذي باسناد صحيح عند تفسير هذه الاية من حديث ابي هريرة يرفعه : (ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً : الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب او من مغربها).

٢- وقعت الاشارة في القرآن الكريم الى نزول عيسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**وان من اهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته**﴾[3].

وصح انه الذي يقتل الدجال فاكتفى بذكر احد الضدين عن الاخر، ومن عادة العرب انها تكتفي بذكر احد الضدين عن ذكر الاخر، ويكون الدجال يلقب المسيح كعيسى، الا إن عيسى مسيح الهدى وذا مسيح الضلالة .

---

(١) اخرجه مسلم في الفتن باب ذكر الدجال مسلم بشرح النووي ١٨/ ٦٣ -٧٠ واخرجه الترمذي وابن ماجة وغيرهم .

(٢) سورة الانعام، اية ١٥٨ .

(٣) سورة النساء، اية ١٥٩ .

٣- انه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقاراً له حيث يدعي الالهية وهو ليس في حال جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص فكان امره عند الرب احقر من إن يذكر واصغر من إن يحكي عن امر دعواه ويحذر، لكن الرسل انتصروا بجناب الرب فبينوا عنه كل شيء .

ومع ذلك فالقرآن بذكر يأجوج ومأجوج وليست الفتنة بهم بدون الفتنة بالدجال والذي قبله .

٤- وقع في تفسير البغوي إن الدجال مذكور في القرآن في قوله تعالى : ﴿**لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس**﴾[1] .

وان المرا بالناس هنا الدجال من اطلاق الكل على البعض .

قال الحافظ : وهذا إن ثبت احسن الاجوبة .

أقول : قال الشوكاني في فتح القدير ٤/ ٤٩٩ : وقد اخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم، قال السيوطي : بسند صحيح عن ابي العالية قال : إن اليهود اتوا النبي ﷺ قالوا : إن الدجال يكون منا في اخر الزمان، ويكون في امره فعظموا امره، وقالوا : نصنع كذا ونصنع كذا فأنزل الله : ﴿**إن الذين يجادلون ...**﴾ فأمر نبيه إن يتعود من فتنة الدجال ن لخلق المساوات والار الاية قال : هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال .

أقول : ولكن للاسف لم يثبت كلا الاثرين، وقول السيوطي : بسند

(١) سورة غافر، أية ٥٧ .

صحيح ليس بصحيح فأبو العالية هو الرياحي ثقة لكنه كثير الارسال ن وهذا خبر مرسل، وخبر كعب الاحبار نتوقف فيه، والله اعلم .

٥- كل من ذكر في القرآن من المفسدين انما هم ممن مضى وانقضى امره واما من لم يجئ بعد فلم يذكر منهم احداً) قاله البلقيني شيح الحافظ ن وتعقبه الحافظ بان يأجوج ومأجوج ذكروا في القرآن)[1] .

هل هو المسيح بالحاء، ام المسيخ بالخاء ؟

قال البرزنجي : وقال بعضهم انه المسيخ بالخاء المعجمة، وعيسى بالمهملة، وقال الحافظ : وبالغ القاضي ابن العربي فقال : ضل قوم فرووه بالخاء العجمة، وشدد بعضهم السين ليفرقوا بينه وبين المسيح بن مريم عليه السلام، قال : وقد فرق النبي ﷺ، بينهما بقوله في الدجال مسيح الضلالة فدل على إن عيسى عليه السلام مسيح الهدى، فأراد هؤلاء تعظيم عيسى فحرفوا الحديث)[2] .

لماذا سمي الدجال مسيحاً ؟

١- قيل سمي بذلك لانه ممسوح العين .

٢- وقيل لانه اعور، والاعور يسمى مسيحاً .

٣- وقيل لمسحه الارض حين خروجه .

٤- وقيل لمسحه الضلالة في الارض فهو مسيح الضلالة .

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٩٨، والنهاية في الفتن والملاحم ١/ ١٦٦-١٦٧ .

(٢) الاشاعة، ص ١٢٣ .

وذكر في سبب تسمية عيسى بالمسيح اقوال غير هذه ليس هنا مكان ذكرها.

من يقتله ومتى ؟

ثبت في الصحيح إن عيسى عليه السلام سيقتله بباب لد بعد نزوله من السماء، كما في حديث النواس بن سمعان الذي مر قريباً .

ما سبيل النجاة والعصمة منه ؟

١- حفظ عشر ايات من سورة الكهف، من اولها، او من اخرها فقد ورد في حديث النواس المتقدم : (من أولها) وفي احدايث اخرى صحيحة (من اخرها) كما عند ابي داود وغيره، وعند مسلم عن ابي الدرداء .

قال القاري : قال الطيبي رحمه الله : المعنى إن قراءته امان له من فتنته كما امن الفتية من فتنته دقيانوس الجبار)[1] .

فهذه هي الحكمة في تخصيص فواتح سورة الكهف او اواخرها او كلها لان كلا الحالتين فيهما تشابه، فهذا دجال، وذلك جبار طاغية، هؤلاء مؤمنون يتقون فتنة الدجال، وأولئك فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى .

قال ابن القيم نقلاً عن النووي : قيل سبب ذلك ما في اولها من العجائب والايات فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وكذا في اخرها ن افحسب الذين كفروا إن يتخذوا ...) قال القرطبي : اختلف المتأولون في سبب ذلك فقيل : لما في قصة اصحاب الكهف من العجائب والايات فمن وقف عليها لم

---

(١) المرقاة ٥/ ١٩٣ .

يستغرب امر الدجال ولم يلهه ذلك فلم يفتن به) وقبل لقوله تعالى (لينذر باسا شديداً من لدنه) تمسكاً بتخصيص البأس بالشدة واللدنية، وهو مناسب لما يكون من الدجال من دعوى الالهية واستيلائه وعظم فتنته، لذلك عظم رسول الله ﷺ امره وحذر عنه وتعوذ من فتنته فيكون معنى الحديث إن من قرأ هذه الايات وتدبرها ووقف على معناها حذره فأمن منه، وقيل ذلك من خصائص السورة كلها، فقد روي من حفظ سورة الكهف ثم ادركه الدجال لم يسلط عليه وعلى هذا يجتمع رواية من روى اول السورة مع من روى من اخرها، ويكون ذلك العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها) .

٢- سكنى المدينة ومكة المشرفتين تعصم من فتنة الدجال :

وقد صح عند الشيخين من حديث ابو هريرة يرفعه : (على انقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال) .

وروي نحو هذا من غير وجه عن جماعة من الصحابة منهم انس بن مالك وأبو بكر الصديق وسلمة بن الاكوع ومحجن بن الادرع وغيرهم .

٣- الابتعاد والفرار منه، كما ثبت عند مسلم : (لينفرن الناس من الدجال في الجبال) .

قوله في نهاية الحديث : (وان بين عينيه مكتوب كافر)

مكتوب : حذف اسم إن (اما إن يكون ضمير الشأن او يعود على الدجال) والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر إن .

او إن تكون (مكتوباً) فهي اما اسم إن واما حال .

وفي رواية (مكتوب بين عينيه ك ف ر) يقرؤه كل مسلم) .

وفي رواية (يقرؤه كل من كره علمه)

وفي رواية (يقرؤه الامي والكاتب)

وفي اخرى (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) .

هل هذه الكتابة حقيقية ؟

قال النووي : والصحيح الذي عليه المحققون إن هذه الكتابة على ظاهرها وانها كتابة حقيقية، جعلها الله اية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وابطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب ويخفيها عن اراد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك، وذكر القاضي فيه خلافاً منهم من قال: هي كتابة حقيقية، ومنهم من قال هي مجاز واشارة الى سمات الحدوث عليه واحتج بقوله : (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) وهذا مذهب ضعيف[1] .

وقال الحافظ مؤكداً قوله النووي :

ولا يلزم من قوله : (يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) إن لا تكون الكتابة حقيقة، بل يقدر على غير الكاتب علم الادراك فيقرأ ذلك وان لم يكن سبق له معرفة الكتابة، وكأن السر اللطيف في إن الكاتب وغير الكاتب يقرأ ذلك لمناسبة إن كونه اعور يدركه كل من رآه)[2]، والله اعلم .

---

(١) مسلم بشرح النووي ١٨/ ٦٠- ٦١ .

(٢) فتح الباري ١٣/ ١٠٨ .



الفهرس

الوحدة الثانية

الوحدة الثالثة

الوحدة الرابعة